حلم عابر

رواية

أيمن موسى

حلم عابر

«رواية»

الكاتب: أيمن موسى

التدقيق اللغوي: هند النجار

الإخراج الفني: ضياء فريد

تصميم الغلاف: محمد علي

رقم الإيداع: ٢٠١٨/١٩٨٥٧

الترقيم الدولي: ٧-٦-٨٥٤١٥-٩٧٧-٩٧٨

كاريزما للنشر والتوزيع

٩ شارع مسجد المغفرة المتفرع من شارع العشرين

بجوارمدارس حسام الدين الخاصة فيصل الجيزة.

موبايل: ٠١١٢٦٠٢٦٦٩١ ٠١٠٦١٨١٣٣٤٥

٠١٠٠٩٨٢٣٩٨٤

لأولئك الذين خذلتهم أحلامهم، وخانتهم أمانيهم، فتحولت حقوقهم إلى خانة الأحلام..

إلى من يستحضرون الفجر الوليد من رحِم الظلام.. ومازالوا يؤمنون أن هناك أملًا..

إلى أجيال كاملة تخلى عنها الجميع.

أيمن موسى

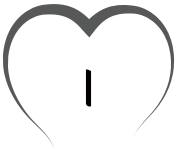

المكان مجهول كما التوقيت، وبغرفة ذات نافذة واحدة مجهزة طبيًا حيث تنتشر أجهزة التنفس وحوامل المحاليل ومقياس الضغط.

سرير بالوسط تمامًا ترقد عليه فتاة بالعقد الثالث من عمرها، إذا نظرت إليها لوهلةٍ يأسرك جمالها الأخاذ وبراءة ملامحها الملائكية، لا تستطيع أن تحكم إن كانت نائمة أو في غيبوبةٍ منذ سنوات، أو ربما ميتة، إلا أن تلك الأنفاس التى تجعل صدرها يعلو ويهبط بانتظام تدل على أنها مازالت تنتمي لعالمنا وأنها مازالت على قيد الحياة.

من كانوا حولها كانوا يترقبون حدوث معجزة، ولم تكن تلك المعجزة سوى أن تفتح عينيها ولو لدقائق.

نظر أحدهم لحركة إصبعها، بينما تعلقت أعين الآخرين بعينيها وكأنهم يتوسلون لها أن تفتحهما، ربما تتحقق الآن المعجزة.. فها هى تحرك رأسها يمينًا ويسارًا قبل أن يتحرك جفنها لتفتح عينيها ببطء، هذا ما رأوه هم وما أعتبروه معجزة تتحقق أمامهم.

فماذا عنها هى؟

ما أن فتحت عينيها حتى رأت مجرد ظلال وخيالات لأشخاص لا تتبين ملامحهم جيدًا أو ربما لم تعرفهم مطلقًا، لم يكن ذلك ليعنيها بشيء.. فرأسها يبدو فارغًا وعقلها لا يحوي أي شيء وذاكرتها بيضاء، ولكن فجأة تعلقت عيناها بنقطة بعيدة خلف الجميع، شيء لم يكن ضمن تلك الوجوه ولا ينتمي لها، شيء لم يروه هم ولم ولن يعرفوا أبدًا ما يكون، هي فقط من أرادت أن تقترب وبشدة من ذلك الشيء، حاولت جاهدةً أن ترفع جسدها المتهالك وهي تلوح بيديها باتجاه ذلك الشيء وكأنها تستجديه أن يأتي وألا يرحل دون فائدة، ما أن حاولت ذلك حتى تهاوى جسدها دفعة واحدة وخبا بريق عينيها، وكما بدأ كل شيء فجأة انتهى فجأة وسط ذهول الحاضرين.

هل تساءلتم يومًا عن القدر؟

هل راودكم حلم عابر وسكن بأرواحكم مع عدم قدرتكم على تحقيقه أو عبوره وتجاوزه؟

ماذا لو وجدت نفسك وحيدًا بهذه الحياة بلا أهم داعم.. الأب والأم؟

بل ماذا سيحدث لك إن كانت روحك تغادر جسدك بلا استئذان أو تأشيرة مرور لتعبر وتخترق ذلك العالم الخفي عن الأنظار، العصي على الإدراك؛ لتعود إليك منهكة ومحملة بأحداث يعجز العقل عن استيعابها أو التعامل معها، وملامح تظل

محفورة بداخلك وأنت تعلم أن قدرك مرهون بتلك الملامح وأنها من تشاركك حلمك ومستقبلك؟

لماذا لا تزال تلك الذكرى تطارد حلم رغم مرور تلك السنوات، تلك المرأة العجوز والتي امتلأ وجهها بالتجاعيد وحفرت السنوات أسوأ ما تحمله القسوة من معاني.

لماذا تجاهلت المرأة جميع المتواجدين على شاطئ البحر واتجهت نحو حلم وكأنها لا ترى سواها؟ ولم تصغ لنداءات المتواجدين وأصواتهم وهي تتابع طريقها باتجاه حلم بهلع وفزع، وكأنها ترى أمامها أسوأ كوابيسها بل ولكن وكما يبدو أنها لا ترى سواها.

لِمَ توجهت إليها وأمسكت بذراعها بتلك القسوة غير آبهةٍ بطفولتها البريئة أو نظرات المتواجدين من حولها؟ همست بأذنيها ببعض الكلمات؛ فسالت الدموع من مقلتي حلم وصرخت بفزع وهى تتابع تلك العرافة تتحرك عائدة باتجاه البحر ليبتلعها وكأنها ذابت فيه.

هل لذلك علاقة بموت أبويها الغامض؟ وهل سيؤثر ذلك بحلم ومستقبلها؟ وما ستواجهه من أهوال بالقادم من عمرها؟

استيقظت حلم فزعة تشعر بالخوف والقلق وصدرها يعلو ويهبط وهي تردد بصوت خفيض: اللهم رفقًا.. اللهم رفقًا..

ماذا يحدث لي ولماذا يتكرر ذلك الكابوس بنفس التفاصيل كلما غفوت أو استغرقت بالنوم؟ ظل هذا السؤال يطارد حلم، فهل ستحصل على إجابات تريح عقلها المجهد وروحها المنهكة؟

ظل هذا السؤال يطارد حلم برأسها وهي تحدق في فراغ الغرفة من حولها.

يقولون أن لكل إنسان من اسمه نصيب..

فهكذا كانت حلم لها من اسمها نصيب كبير، فحياتها تشبه الحلم حقًّا، بل ربما لا تمت للواقع بأية صلة.

حلم.. تلك الفتاة التي خرجت مرغمة من واقع أليم لتصنع عالمًا موازيًا من خلال الروايات والقصص، فهى بطلة كل الروايات التي تقرأها وتستحوذ على مشاعرها، ترى الحياة بمنظورها هى لا كما يراها الآخرون، تشعر باختلافات جوهرية بينها وبين من يحيطون بها، تتجنب أي جدال أو مناقشة، تعلم أنها ستكون عقيمة وبلا أي طائل من وراءها سوى ثرثرةٌ فارغة ومضيعةً للوقت.

كانت ترى الحياة من خلف زجاج نظارتها التي تختبئ خلفها من نظرات المحيطين بها، أو تراها خلف النوافذ تراقب الكون من حولها وترسم عالمها الخفي وتحيك مشاعرها وأحلامها القابعين بذاكرتها.

حلم تؤمن بأنه لا يوجد ما يسمى بالمستحيل، ستحصل على ما تريده يومًا ما، كل من حولها يصِفونها بأنها غير واقعية وأن أمثالها قد انقرضوا منذ زمنٍ بعيد، كانت تتجاهل حديثهم تارة وتبتسم تارة، وهي تشعر نحوهم بالشفقة أحيانًا وبالغضب أحيانًا أخرى.

ولكن بينها وبين نفسها كان يدور الصراع الأزلي بين العقل والقلب.. فهما دومًا مختلفانِ، عقلها يتمنى العيش بواقعية وقلبها يؤثر العيش في حياة رومانسية حالمة.

ظلت حياة حلم هكذا على مدار الشهور والسنوات التي تلت إنهاء دراستها الجامعية، لا تدري كم مر من الوقت؟ فقد توقفت عن العد منذ مدةٍ طويلة، فما فائدة الحساب وانتظار ما نجهله؟ هكذا حدثت نفسها وأقنعتها بذلك، ربما يزول قلقها وتوترها، ولكن دائمًا ما تكون كلمة النهاية للقدر.

♡♡♡

استقلت حلم الحافلة بطريق عودتها إلى منزلها الذي تسكن وحيدة بين جدرانه بعد موت والديها في حادث أليم.

كان مقعدها المفضل دومًا بجوار النافذة تنظر من خلف الزجاج، فهي تستمتع برؤية الأشخاص ومراقبتهم مِن حولها وهم يسيرون على الأرض بكل الاتجاهات، بل أنها كانت ترسم لكل منهم عالمهُ الذي تنبىء به هيئته وملامحه، فذلك الرجل الذي يحمل الصحيفة تحت ذراعه وباليد الأخرى بعض الأرغفة من الخبز والعرق يتصبب على وجهه وجبينه وهو يحاول اللحاق بالحافلة، من الجهة الأخرى رجل دهسته عجلة الفقر والجوع حتى يركض بهذا الشكل وهو يحمل على عاتقه من العمر سنوات طويلة تكادُ تنتهي بين عشيةٍ وضُحاها.

و هذه المرأة العجوز التى حفرت الأعوام تضاريسها على وجهها وترك الزمان بصمته على ملامحها، والتى تحمل بين يديها كيسًا كبيرًا مملوءًا بالأدوية.. وقد أكل المرض وشرب على جدران روحها المنهكة.

خفضت رأسها أرضًا لدى رؤيتها لذلك الشاب الذي يعتلي الدراجةَ النارية المخصصة لنقلِ البضائع، يبدو من هيئتهِ أنه شابٌ متعلم أعياه مؤهله الدراسي بدلًا من أن يحميه.

وهكذا ظلت حلم كلما استقلت الحافلة تتجول بين وجوه المارة تحاول سبر أغوارهم ورسم عالمهم، تتخيل حياتهم دون أن تدري هل هي بما تفعله تراقبهم فقط أم أنها تبحث من خلالهم عن قدرها الذي ظلت تنتظره طوال سنوات عجاف؟

توقفت الحافلة كعادتها عند إشارة المرور، ومن نافذتها وبجهة اليسار كان هناك كوفي شوب بالدور الثاني مواجه للحافلة يحيط به الزجاج من كلِ جانب، مما يتيح لمن هم بالخارج رؤية رواده من الداخل بكل وضوح، لفت نظرها شاب يجلس بزاوية المكان بهدوء وحيدًا على مائدته التي تواجه الحافلة، وأمامه كوب من القهوة يرتشف منه رشفات متتالية ويتركه ليخط بعض الكلمات على الأوراق المتناثرة على المائدة.

كان يرتدي نظارةً سوداء وأمامه كتاب ذو غلاف داكن، للوهلة الأولى ظنت أنه ينظر إليها أو أنه انتبه إلى أنها تراقبه.

شعرت أنه يحدق بها ويراها بوضوح كما تراه من خلف الزجاج مما جعلها تشعر بالخجل الشديد وجعل وجنتيها تحمران خجلًا، وكم شعرت بالراحة عندما تحركت الحافلة.

ظلت ملامح ذلك الشاب لا تفارق خيالها أو تفكيرها طوال اليوم، وعندما خلدت إلى النوم كانت تعد الساعات والدقائق بل والثواني لرحلة الغد فربما تراه مرة أخرى، ولكنها حدثت نفسها قائلةً أنه ربما يكون وجوده اليوم محض صدفة وأنه لن يتواجد بالغد، تناولت كتابها المفضل للقراءة فربما تساعدها القراءة على الاسترخاء والهروب من ملامح ذلك الشاب التي تستحوذ على كامل وعيها وعقلها الباطن، يقتلها الفضول لمعرفة إن كان قد انتبه لها حقًا أم أنها تخيلت ذلك؟

وفى نفس التوقيت وعند نفس الإشارة توقفت الحافلة، حاولت أن تقاوم النظر باتجاهه أو تحاول أن تُلهي نفسها بأي شيءٍ آخر، ولكن هيهات.. فهناك قوى خفية هي ما تحركها، نفس المائدة ونفس الرجل بنفس التفاصيل، كوب من القهوة وكتاب وبعض الأوراق المتناثرة ونفس القلم ونفس النظارة.. ولكن هذه المرة هي متأكدة أنه يراها بل ويبتسم لها.

نعم هو يبتسم، هي لا تتخيل ذلك أو تختلقه، بل إنها تشعر أن نظراته تغادر زجاج نظارته لتخترق زجاج النافذة بالحافلة، تحركت الحافلة وهي شبه نائمة أو حالمة، وكم حمدت الله أن الحافلة قد تحركت لتنقذها مما انتابها من مشاعر متداخلة لا تدرك حقيقة توصيفها.

ابتسمت وهي تتخيل نفسها معه على نفس المائدة، سيطر على عالمها بالكامل وكأنها أصبحت لا ترى في الوجود غيره، أخذت أنفاسها تتلاحق وقلبها ينبض بقوة فقد حان الموعد اليومي،

التفتت إلى يسارها وجدته وكأنه ينتظرها ولكن هذه المرة يتحدث لها بكلمات لا تسمعها، ولكنها من خلال قراءة شفاهه هي لا تُخطئ حروف هذه الكلمة، تُرى هل هو حقًا ينطق بهذه الكلمة ويخبرها بها؟ وهذه الوردة التي يحملها بين أصابعه ويشير إليها بها هل هي المقصودة بذلك؟

كم تمنت لو يتوقف الزمان ويغيب المكان عند هذه اللحظة ولكن هيهات ها هي الإشارة تضيء باللون الأخضر لتتحرك الحافلة وتترك خلفها الكثير والكثير من علامات الاستفهام وأسئلة بلا إجابات.

«**تُرى ماذا يخبئ ليَ القدر فيما هو آتٍ؟**»

هذه كانت كلماتُها الأخيرة وهي مُغمضة العينين وذلك الشاب يتضاءل أكثر وأكثر حتى اختفى تمامًا.

مضى اليومُ ثقيلًا مملًا، تحدثت إلى صديقتها فرح عبر الهاتف، حاولت أن تبدو طبيعية ككل يوم ولكن كان توترها وما يحدث معها يسيطر عليها كليةً مما أفقدها تركيزها أثناء الحديث.

استودعت صديقتها فرح على وعد باللقاء غدًا، وقبل أن تذهب إلى فراشها لم تنسَ ما تفعله كل يوم طيلة سنوات، ذهبت إلى سور شرفتها ووضعت الحبوب والماء بأطباقٍ صغيرة للطيور العابرة والعصافير التي تبحث عن الطعام، وقبل أن تعود إلى فراشها استدارت بعينيها لتواجه القمر، كم يبدو غامضًا ويخفي أكثر مما يظهر، خُيل إليها أن القمر ينصت لها.. فقد أرسل أضواءه الفضية على شعرها المسترسل على كتفيها ليكتمل ظلها على الجدار، لوحت له بكلتا يديها وبعفوية ولا إراديًا وجدت نفسها تردد نفس الكلمة التي قرأتها على شفاهه.

أنهت حلم مهمتها اليومية بإطعام الطيور العابرة وتسللت عائدة إلى فراشها، احتضنت دميتها والتي تعتبرها صديقتها، تتحدث معها كلما ضاق بها الأمر أو استعصى على من حولها فَهمها، كانت تهرب إليها.. تسرد لها روتين يومها وتحكي معها عن أحلامها،

ومن شدة تعلقها بها جعلتها مُعرفةً وليست مجهولًا فقد أطلقت عليها اسم (**مشمش**)، كانت تعتبرها محل ثقتها ومكمن أسرارها، حتى أنها كانت تتشاجر معها أحيانًا وتخاصمها، ولكن سرعان ما تُصالحها.. كانت تقول لها بابتسامة طفولية بريئة «**صافي يا لبن**»، وكانت ترد بضحكة ساحرة «**حليب يامشمش**».

باختصار كانت تمثل لها أكثر من دمية، توجهت لها بالحديث قائلة «**تُرى من يكون؟**»

كم تخيلته يقف على باب الحافلة أو حتى خلف زجاج النافذة يطلب منها بلطفٍ الحديث معها، كلما سمعت طرقات على الباب زاد نبض قلبها وتعالت دقاته فربما يكون هو من يقف عند الباب، تخيلته يقف عند الباب ويحمل بين يديه باقةٌ من الورد ويستأذن في الدخول، بل إنها كلما سمعت رنين الهاتف ووجدت رقمًا مجهولًا تصبب على وجهها العرق خجلًا.. فربما يكون هو على الطرف الآخر وقد حصل على رقمها بشكل أو بآخر، ولكن ظل الحال كما هو ولم يتغير الوضع، هو بالكوفي شوب يختفي خلف مائدته ونظارته وبين أوراقه وكتبه، وهي تختبئ خلف مقعدها بالحافلة وتختفي خلف خجلها وحيائها، أصبح الأمر الآن هو بالنسبة إليها قدرًا، ولكن إلى متى سيظل الوضع هكذا؟

كان هذا آخر ما تتذكره قبل أن تغفو، وعندما استيقظت كان الأمر أكثر ضجيجًا من ذي قبل.. فظلت غارقة في حيرتها.

كانت تشعر أن اليأس كاد يتسلل إلى روحها، وأحيانًا كانت تظن أنها تختلق هذا وأنه لا وجود لكل ذلك إلا بعقلها الباطن

وبرأسها هي فقط، ولكن كيف وهل يعقل هذا حقًا؟؟ إنها تكادُ تجن.

ماذا تفعل؟ هل تختلق كل هذا؟ وهل هو حقيقة أم خيال؟

بالنهاية حسمت أمرها وقررت أن تروي كل شيءٍ حدث معها إلى صديقتها المقربة.

♡♡♡

«**وهذا كل ما حدث**».

كانت هذه العبارة هي نهاية حديثها الطويل مع صديقتها فرح، **تنهدت فرح تنهيدة طويلة قبل أن تقول بنبرة متشككة:** وهل يعقل هذا يا حلم؟ هل أنتِ بكامل وعيكِ؟

هل أنتِ واثقة أن هذا حدث بالفعل وأنكِ لا تروين لي حلمًا زاركِ أثناء نومك؟

ردت حلم بانفعال واضح: وهل هناك حلم يتكرر يوميًا وبنفس التفاصيل؟

ثم قالت وقد اختنق صوتها بالدموع: هل أنتِ لا تصدقينني حقًا؟!

ردت فرح بصوتٍ خافت وهي تشيح بنظرها بعيدًا: ليست المسألة أنني لا أصدقكِ، ولكن يبدو لي أن الموضوع أقرب إلى الحلم أو الخيال منه إلى الواقع.

ردت حلم بنبرةٍ واثقة تحمل من التحدي والحسم الكثير: حسنًا يا فرح.. أنتِ ستكونين معي في الغد، ستأتين معي لتشاهدي بنفسك ولتعلمي أنني مازلت بعقلي وأنني لا أهذي.

ردت فرح بدهشة وبضحكة خافتة: أنا أذهب معك! وما شأني أنا بذلك؟ ولكن هل تعلمين..؟ هناك حل واحد يضع حدًا لكل هذا.

قالت حلم متسائلة بلهفة: أخبريني بسرعة كيف يكون ذلك فأنا حقًا أكادُ أجن؟

فرح: ما رأيك بتناول فنجان من القهوة السادة التي تعشقينها؟

حلم بلهجة غاضبة وعاتبة بنفس الوقت: وهل هذا وقت المزاح؟ أنا أخبركِ أنني أكاد أجن وأنتِ تطلبين مني تناول القهوة!

فرح مستدركة حديثها: مهلًا مهلًا.. لا تتعجلي الأمر وانتظري حتى أُكمل، ما قصدته هو أن تتناولي فنجانًا من القهوة بنفس الكوفي شوب.

حلم وكأنها تتحدث من عالم آخر: كيف هذا؟

فرح وهي تشعر أنها قد اقتنعت بكلامها: الأمر ببساطة أنكِ ستغادرين الحافلة عندما تتوقف عند الإشارة، وبهدوء وثقة ستذهبين للكوفي شوب ومن ثم ستطلبين فنجانًا من القهوة اللذيذة التي تعشقينها أيتها المدمنة.

رددت حلم كلمات فرح وهي لا تعي ما حولها: أغادر الحافلة وأذهب لهناك وأتناول فنجانًا من القهوة.

فرح: هل رأيتِ.. الأمر بهذه البساطة.

ـ حلم.. حلم .. حلم .. حلم .. أين ذهبتِ؟ هذه رابع مرة أناديكِ ولا تردين عليَ.

حلم وكأنها قد أفاقت للتو : ماذا تقولين؟ هل أنتِ مدركة لما تقولينه؟ لن أفعل هذا بالتأكيد، ماذا سيظن بي؟ بالتأكيد لن أفعل هذا.

فرح: لقد قلتُ ما عندي، هذا رأيي أنا وتظلين أنتِ صاحبة القرار، واسمحي لي بالمغادرة فسأذهب اليوم لدار الأيتام، فاليوم هو دوري، ولا تنسي.. غدًا يأتي دورك أنتِ أيتها الساحرة، لا أدري حقًا ماذا فعلتِ للأطفال هناك؟ إنهم يعشقونك بجنون.

خرجت فرح بعد أن استودعت صديقتها والتي لا تدري هل ردت عليها أم لا، ولكن صوت ارتطام الباب عند إغلاقه جعلها تنتفض بشدة وهي تتوجه إلى قفص العصافير لتُطعمهم، **نظرت إلى العصافير تحدثهم بصوتٍ حالم:** تُرى ماذا يُخبئ لي القدر؟ تُرى ماذا يخبئ لي القدر؟ أما آن لهذا الضجيج بعقلي أن يخْفت؟

أطفأتْ الأضواء بالغرفة لتشتعل الأضواء بعقلها وتحيل رأسها إلى سيمفونية صاخبة، احتضنت مشمش وهمست له قائلة: هل حقًا أنا أتوهم ذلك؟ يا رب رفقًا بعقلي وقلبي فما عدتُ أحتمل.

تثائبت وهي تحاول جلب النوم إلى عينيها ولكن هيهات وذلك الصخب يملأ رأسها والضجيج يستحوذ على عقلها، لا تدري حلم هل نامت حقًا أم ظلت مستيقظة؟ ولكنها واثقة أن صورة هذا الشخص لم تفارق خيالها لحظة واحدة، وصوت فرح

مازال يتردد بأذنيها «**وماذا فى ذلك؟ ستكونين كأي شخص من رواد الكوفي شوب يتناول فنجانًا من القهوة**».

لحظات وتتوقف الحافلة عند تلك الإشارة، تشعر وكأن عقلها قد أصابه الشلل من كثرة التفكير، دقات قلبها تعلو وتنخفض وأنفاسها تتلاحق وكأنها في سِباق الألف ميل، تُرى هل هم يتهامسون عني؟

أثار استغرابها ودهشتها نظرات الركاب بالحافلة، تشعر وكأن نظراتهم تخترقها، وتلك الابتسامات على وجوههم وشفاههم هل هي بسببي أنا؟ هل هُمْ حقًا يراقبونني؟

ثواني وتتوقف الحافلة عند الإشارة، هل أكمل رحلتي ككل يوم إلى البيت؟ أم أغادر الحافلة وأتوجه إلى هناك؟

هل أثبت لفرح ولنفسي أولًا أن كل هذا حقيقيًا وليس وهمًا أو من نسيج خيالي؟ أم أترك كل شيء وراء ظهري وأعود إلى حياتى الهادئة؟ حاوَلت بكل الطرق أن تتوصل إلى قرار وفشلت، العرق يكسو وجهها، نظرات عينيها زائغة، أفكارها مشوشة وها هي قد توقفت الحافلة.

حاولت وبكل جهد وإصرار أن تتجاهل النظر نحوه، تجاهلت النظر إلى جهة اليسار حيث قلبها وحيث حلمها أو قدرها، حاولت أن تتحكم بتوترها، تذكرت أن العد العكسي من المائة وحتى الصفر يزيل التوتر، وبدأت بالعد من الرقم مائة وقبل أن تصل إلى الرقم ثمانون كانت تنظر باتجاهه، للوهلة الأولى شعرت بالصدمة، فهو وللمرة الأولى ليس متواجدًا، ها هي المائدة.. وها هي أشياؤه

عليها، ذلك الكتاب والقلم والأوراق المتناثرة.. حتى نظارته، وقبل أن تفيق من حيرتها وتساؤلاتها وجدت نفسها خارج الحافلة باتجاه الكوفي شوب والحافلة تغادر وكأنها تقطع عليها أي طريق للتراجع، سارت كالمغيبة أو المسحورة، شيء ما يجذبها.. أو قوى غير مرئية هي ما تتحكم بها وبخطواتها.

حملت ذلك الكتاب ووضعته على صدرها وبالقرب من قلبها، ربما هي تحاول أن تخفي صوت دقاته العالية حتى لا تفضحها أو تصل إلى مسامع الناس من حولها وتعلن عن وجودها، أو ربما تحاول أن تمنع قلبها نفسه من مغادرة موضعه بين ضلوعها والقفز خارجًا، مشاعر متناقضة تنتابها بنفس الوقت، خوف وقلق.. جُرأة وإقدام، خجلٌ ممزوج بالحنين، تشوق ولهفة لوضع حد لكل هذا، تتقدم خطوة.. وتتراجع خطوات.

نظرت حولها تُحاول استكشاف المكان لتختار مائدة مواجهة لمائدته وبنفس الوقت تكون قريبة، شعرت بارتياح نسبي لهدوء المكان الذي يكاد يكون خاليًا من رواده في مثل هذا الوقت، وها هي قد وجدتْ ضالتها بمائدة تجعلها مقابلة له لتتبين ملامحه بوضوح وبزاوية تسمح لها بمراقبته.

أتى النادل وسألها: كيف أخدمك سيدتي؟

بصوتٍ هادئٍ طلبت منه فنجانًا من القهوة السادة وكوبًا من الماء، مازال توترها لم يفارقها، تتملكها رغبة عارمة وملحة بمغادرة المكان، ورغبة أقوى بالبقاء لرؤيته ومعرفة ما سيحدث،

مرت الثواني والدقائق ثقيلة ولا شيء يتغير فحتى الآن هو لم يظهر.

حدثت نفسها قائلة «**ربما هو يتحدث بهاتفه، أو ربما ذهب لأي مكان وسيعود**» قطع حبل أفكارها صوت النادل وهو يسألها إن كانت تريد شيئًا آخرًا أم لا؟

شكرته بابتسامة خفيفة، انصرف النادل ليتركها وحيدة مع قهوتها وحيرتها وتساؤلاتها.

مرت الدقائق ثقيلة جدًا ورتيبة ومملة، أنهت قهوتها وهي تتظاهر بتصفح الكتاب الذي أحضرته معها، ولكن في الحقيقة هي تراقب مدخل الكوفي شوب مترقبة دخوله بأية لحظة، ولكن لا شيء يتغير ولا جديد يحدث، فلا هو حضر ولا حتى لمحت طيفه، يا الله رفقًا.. هل كان كل هذا وهمًا وتخيلات لا أساس لها من الصحة؟ هل اختلقتُ كل هذا على مدار الأسابيع الماضية؟ هل كنتُ باختلاق هذا أهرب من الواقع ؟ أم ربما أكون جُننْتُ حقًا.. هل تكون أحلام يقظة كما تقول صديقتي فرح؟ سرعان ما انتفضت واستعادت ثقتها بنفسها عندما لمحت أشياءه القابعة على المائدة وكأنها تخبرها أن ما تعيشه هو حقيقة وليس محض خيالٍ أو وهم، ولكن يظل يُلح عليها ذلك التساؤل.. تُرى أين هو؟ لماذا هو ليسَ موجودًا ككل يوم؟

مرت ساعتان وهو لم يظهر، وإن كان قد غادر فلماذا ترك أشياءه؟ للمرة الثانية يقطع حبل أفكارها النادل بابتسامة خجولة ليخبرها أن موعد تغيير الوردية قد حان، وأنه عليه تسليم الفواتير

الخاصة بالحساب، اعتذرت حلم وهي تنهض مبتسمة لتحاسبه، شعور بالخيبة والخذلان يستحوذ عليها فها هي ستعود أدراجها كما أتت، ولن تستطيع إثبات أيَ شيءٍ لفرح، **ترددت كثيرًا قبل أن تتوجه بالحديث للنادل وهي تسأله:** عفوًا هل لي بسؤال من فضلك؟

النادل بفضول مجيبًا عليها: تفضلي سيدتي سلي ما شئتي.

حلم وهي تشير باتجاه المائدة: على مدار الأسابيع الماضية كان يجلس هنا رجلًا على هذه المائدة وها هي أشياؤه، وأتساءل.. لماذا هوغير موجود برغم وجود أشيائه هنا؟

وما إن أنهت تساؤلها حتى وجدت النادل وقد ظهر عليه الاهتمام والتأثر بنفس الوقت قائلًا وبصوت مخنوق: نعم سيدتي هذا حقيقي أنتِ تقصدين الأستاذ أحمد مجدي الكاتب والروائي الشهير.

٣

شيء ما لم يرحها بكلمات النادل، خاصة تلك المشاعر الحزينة التي كست ملامحه، ونبرة صوته التي كانت تعبر عن التأثر الشديد، مئات الأفكار والخيالات دارت بعقلها ورأسها وكلها كانت تنبئ عن مكروهٍ قد حدث لهذا الشخص، والذي لم يعد مجهولًا الآن فقد أصبح له اسم وهو أحمد مجدي، بل وهو ليس شخصًا عاديًا، إنما هو كاتب وروائي شهير كما وصفه النادل.

لحظات من الصمت الثقيل والوجوم قد حلت على المكان، لم يقطعها سوى صوت النادل وهو يستطرد قائلًا بصوتٍ مبحوحٍ لا يكاد يغادر حنجرته ودموعه تسبقه: رحمه الله.

حلم وكأنها لم تسمعه جيدًا: ماذا قلت؟

النادل وهو يردد نفس كلماته السابقة: أخبرتك سيدتي إنه الأستاذ أحمد مجدي الكاتب والروائي رحمه الله رحمة واسعة.

حلم وهي تشعر أن الأرض تميد بها وأن قدميها لم تعودا قادرتان على حملها: هل تقصد أنه مات اليوم؟

النادل بصوت لا زال يحمل نبرة الحزن: لا سيدتي لقد وقع له حادث منذ ثلاثة أسابيع، وهو في طريقه لإرسال روايته إلى دار النشر القريبة من هنا.

قاطعته حلم صارخة: أنت تكذب.. أنت تكذب.. لماذا تضللني؟

النادل وقد تفاجأ بثورتها وغضبها: ولماذا أكذب عليكِ يا سيدتي؟

حلم: ألا تخبرني الآن أنه قد توفي منذ ثلاثة أسابيع؟

النادل بتأثر: هو ذلك سيدتي.

حلم بثقة وغضب: كيف يحدث ذلك وأنا حتى الأمس وعلى مدار ثلاثة أسابيع كنتُ أراه جالسًا على نفس هذه المائدة؟

النادل بدهشة وارتياب وقلق بدا على ملامحه: هذا مستحيل يا سيدتي، فمنذ ثلاثة أسابيع كان أستاذ أحمد قد أنهى أحد فصول روايته أرواح شبيهة، وذهب إلى دار النشر ليسلمها حتى يتم تدقيقها ومراجعتها قبل النشر، وعندما دلف إلى سيارته وأثناء عبوره للشارع أتت حافلة منطلقة من الاتجاه الآخر لترتطم بسيارته بقوة شديدة، وقد نتج عن الحادث الكثير من الوفيات والإصابات بركاب الحافلة، أما سيارة الأستاذ أحمد فقد تهشمت وتحطمت تمامًا، وهو قد مات على الفور إثر نزيفٍ حاد.

حلم غير مصدقة ما تسمع: كيف هذا؟ هذا مستحيل.. أخبرتك أنني أراه يوميًا على مدار الأسابيع الثلاثة الماضية، وبالأمس كان متواجدًا هنا على نفس المائدة خلف أشيائه وهي تشير إليها بأصابعها المرتعشة، وكأنها قد وجدت طوق النجاة عندما شاهدت أوراقه وقلمه ونظارته وكتابه، **فقد قالت باستعطاف للنادل:** هل

تكذب علي؟ أخبرني بأن هذا ليس صحيحًا، أو فلتخبرني لماذا مازالت أشياؤه هنا كما هي؟ كيف.. كيف.. كيف؟

النادل وكأنه ينفي عن نفسه تهمة، أو كأنه يدافع عن نفسه: سيدتي.. كما أخبرتك فإن الأستاذ أحمد عليه رحمة الله أحد رواد المكان الدائمين وقد كتب معظم أعماله هنا.. وعلى هذه المائدة، وقد رأينا نحن أنه وفاءً لذكراه سيكون هذا الركن تخليدًا له ولروحه وأدبه، ولقد تركنا كل شيء بنفس موضعه كما تركه الأستاذ أحمد، حتى نظارته قد تنازل عنها ورثته لتكون مع أوراقه وقلمه وهي مهشمة من أثر الحادث.

لم تتمالك نفسها وهي تسمع ما يخبرها به النادل.. شعور بالألم والحزن والعجز، مشاعر متضاربة.. شعرت بدوار شديد، كادت تقع على الأرض من شدة الإرهاق والألم، ذهبت بخطى ثقيلة باتجاه المائدة، جلست على نفس الكرسي الذي كانت تشاهد عليه الرجل، بصوت خافت لا يكاد يغادر شفتيها طلبت كوبًا من الماء، ذهب النادل ليحضر لها الماء وهو يتمتم بشفاهه كلمات غير مسموعة تدل على حيرته وعدم فهمه للأمر.. تُرى من تكون؟ هل هي قريبته أو إحدى قارئاته أو معجبيه؟

ولكن كيف هذا؟ وهل هناك أي أحد بالوطن العربي لم يسمع بهذا الحادث المؤسف؟ ثم كيف تقول أنها تشاهده منذ أسابيع وحتى الأمس على مائدته؟ بلا شك هي مختلة عقليًا، حتى أنني لم أرها من قبل.. وهذه أول مرة أشاهدها هنا منذ عملي على مدار سنوات، كانت هذه كلماته لنفسه قبل أن يحضر لها الماء ويسألها

إن كانت بخير، أومأت برأسها دلالة على أنها بخير، وطلبت منه أن يتركها بمفردها قليلًا.

لم يتوقف هاتفها عن الرنين، بصعوبة بالغة طالعته لترى اسم فرح تحاول بإلحاح أن تطمئن عليها ولكن كيف ترد عليها؟ وماذا عساها تخبرها؟ وكيف ستشرح لها ما تعجز هي عن فهمه؟ هل ستخبرها أنها قد أصابتها لوثة عقلية، وأنها يوميًا ترى شخصًا ميتًا فعليًا منذ ثلاثة أسابيع، أم تغادر هذا المكان وتنسى كل شيء وكأن شيئًا لم يحدث.

بصعوبة بالغة تناولت الكتاب وفتحته وبمنتصفه وجدت وردة ذابلة قد تآكلت أوراقها ولكنها مازالت تحتفظ بنفس عبيرها، نعم هي نفس الوردة التي أشار لها بها هي متأكدة من ذلك، قلبت الأوراق وهي تتجول بين الكلمات والحروف فوجدت مسودة الرواية، وكم كانت دهشتها وحيرتها عندما لمحت اسم الرواية.. فقد تمت كتابته بخط واضح.. حلم عابر وبين قوسين (**أرواح شبيهة**)، اغرورقت عيناها بالدموع وهي تكاد لا تصدق ما تراه، كيف يعقل هذا؟ أتراه كابوسًا ستفيق منه بعد دقائق؟ هذا اسمها (**حلم عابر**) وهذا اسم روايته الأخيرة التي أخبرها عنها النادل (**أرواح شبيهة**)، تُرى ما هو الرابط بين اسمها وبين اسم الرواية؟ بل ما كل هذا الذي تراه وتعايشه ولا تستطيع تفسيره؟

وأثناء حيرتها وتساؤلاتها اللا متناهية، وجدت أقصوصة صغيرة كُتبت عليها كلمات يبدو أن صاحبها قد كتبها بسرعة وعلى عجلٍ ولكنها واضحة ويمكن قراءتها، **كانت الكلمات**

تقول : «أعلم أنكِ ستأتين إلى هنا وذات يومٍ سيقودك الحنين، واعلمي أننا وإن لم يكن مقدرًا لنا اللقاء هنا فسنلتقي هناك .. أحبك وكفى».

سيدتي..
سيدتي أنا لستُ سوى
ربان حائر.. والموجُ ثائر
اليّم هادر.. والمد غادر
وأنتِ وطن يسكنني
فكيف لقلبي أن يغادر؟
كيف للروح أن تهاجر؟
أبحث عنكِ بكل الأمكنة..
أسافر عبر الدروب والأزمنة
أراكِ سيدتي بكل المعابر..
تحطمت قلاعي وأشرعتي
وأنا لستُ بربانٍ ماهر..
تاهت سفينتي وضلت
بليلٍ والليلُ حقًا جائِر
قاسيةٍ أنتِ كبخار القهوة..
فالبخار أول من يغادر
كآخر رشفة بقهوتي أنتِ
لست سوى حلم عابر.
وكانت الكلمات مذيلة بتوقيعه أحمد مجدي..

لا شعوريًا طوت الورقة ووضعتها بحقيبتها ونهضت بصعوبة وهي تشعر بالاختناق ولا تكاد تتنفس، وأثناء محاولتها النهوض من مكانها للرحيل اتجهت بعينيها إلى النافذة التي كانت طالما شاهدته من خلالها، فمن مكانها بالكوفي شوب رأت الحافلة متوقفة بالإشارة المقابلة وعلى نفس مقعدها بجوار النافذة، وجدته يحدق بها ويتمتم بنفس الكلمة التي كان يرددها وهو يشير لها بالوردة، نعم إنه هو.. بملامحه التي تحفظها عن ظهر قلب، فكيف تبدلت الأدوار؟ هي هنا على مائدته خلف أوراقه وقلمه، وهو بالحافلة على مقعدها بجوار النافذة، وكان آخر ما رأته قبل أن تتهاوى أرضًا وتصطدم بالمائدة.. هي الحافلة تعبر إشارة المرور وعيناها معلقتان بوجهه وبشفتيه اللتان ترددان نفس الكلمة، بالكاد إستطاعت أن تفتح عينيها.. مازالت تشعر بالضباب يحيط بعقلها من كل جانب، وتشعر بصداع رهيب يكاد يفتك برأسها، خدر ودوار ورؤية مشوشة وكأنها تتهاوى من علو شاهق إلى بئرٍ سحيق، وبعد جهد ومحاولات مضنية استطاعت أن تميز أربعةً أشخاص يرتدون المعاطف البيضاء ويتحدثون فيما بينهم، كانوا يستخدمون مصطلحات طبية لا تستطيع فهمها، وما أن شعروا بها تفتح عينيها حتى تهللت أساريرهم وعلت البسمة شفاههم و لاحقوها بأسئلتهم التي لم تتوقف.

هل ترين بوضوح؟ أجابت بصوت خافت: نعم.. ولكن الرؤية مشوشة قليلًا وغير واضحة المعالم.

سألها آخر: هل تذكرين اسمك ؟ وهل تعرفين من أنتِ وماذا حدث؟

قالت: نعم أنا حلم عابر، ولا أعلم أين أنا أو ماذا حدث؟

سألها آخر: ما هو آخر شيء تتذكرينه؟

أجابت: لا أدري.. ولكن آخر ما أذكره أنني كنت بكوفي شوب أتناول فنجانًا من القهوة و.. و.. هنا سالت من عينيها دموع عجزت أن تمنعها، فقد بدأت تتذكر ما حدث هناك.

تحدث أحد الأطباء موجهًا حديثه لباقي الأطباء قائلًا بصوتٍ واثق: لقد تعرضت لفقد مؤقت للذاكرة، يبدو أنها تعرضت لصدمة ما لم يتحملها عقلها؛ فمحت كل ما تعرضت له، وسيكون هذا مؤقتًا وسرعان ما ستستعيد ذاكرتها.

الأطباء وهم يغادرون: لا تقلقي ستكونين بخير، الحمد لله لقد نجوتِ.

خرج الأطباء من الغرفة وهم يتبادلون حديثهم الطبي بصوت بدأ يخفت كلما ابتعدوا عن غرفتها، لمحت صديقتها فرح تنزوي بأحد أركان الغرفة وتتقدم ناحيتها ببطء وهي تحاول جاهدة منع دموعها من النزول، مدت يدها إلى صديقتها تحتضنها وتضغط عليها **وهي تقول:** الحمد لله.. الحمد لله، ستكونين بخير.

وجود فرح معها جعلها تشعر بالأمان نسبيًا، جاهدت لتستعيد أنفاسها المتقطعة وتنهدت تنهيدة عميقة وهي تنظر بعيني فرح نظرة حائرة، **حلم بصوت واهن:** ماذا حدث؟ أنا لا أتذكر الكثير، وآخر ما أتذكره هو ذهابي منذ ساعات إلى الكوفي شوب، نعم يا

فرح لقد ذهبت ولكن للأسف لم ألتقيه، فقط وجدت أشياءه، أما هو.. وبدأت دموعها تسيل بغزارة.

فرح بلهجة مشفقة: لا تجهدي نفسك حبيبتي، اهدئي الآن.

حلم: أخبريني ماذا حدث؟ أريد أن أعرف ماذا حدث؟ أرجوكِ أخبريني.

فرح باستسلام: حسنًا.. سأخبرك، ولكن لا تجهدي نفسك، سأخبرك بكل شيء، منذ ثلاثة أسابيع وأثناء عودتك بالحافلة ككل يوم، وقبل أن تصل الحافلة إلى الإشارة التي تتوقف عندها فقد السائق التحكم بعجلة القيادة بعد أن اكتشف أن الحافلة بلا مكابح، مما أدى إلى انقلابها ووقوع حادث كبير نتج عنه مصرع البعض وإصابات خطيرة للآخرين.

حلم بذهول: ماذا تقولين؟ هل قلت منذ أسابيع؟ لقد كنت هناك منذ ساعات.. أأنتِ مدركة لما تقولينه؟

فرح: اهدئي حبيبتي فأنت فاقدة للوعي منذ ثلاثة أسابيع، ولم يعد لك الوعي إلا الآن.

حلم: وماذا عن الشاب الذي أخبرتك عنه؟ لقد عرفت من هو.. إنه كاتب روائي اسمه أحمد مجدى، هل أنا أختلق هذا بظنك؟ لقد أخبرني النادل عنه، ورأيت كتبه وأوراقه وقلمه.. حتى نظارته، ولكن انتظري.. لقد أخبرني النادل أنه تعرض لحادث ومات، يا الله ماذا يحدث؟

تناولت فرح صحيفة ملقاة بجانب السرير وفتحتها على خبر بالخط العريض وناولتها لحلم التي قرأت عنوانًا يقول (**مصرع**

الكاتب والروائي أحمد مجدي إثر حادث أليم وهو بطريقه إلى دار النشر).

قرأت تاريخ الصحيفة.. كان يشير إلى الثالث من مايو.

فرح بصوت حزين: نعم يا حلم، أنتِ كنتِ بتلك الحافلة التي اصطدمت بسيارة الأستاذ أحمد مجدي.

بصوتٍ متحشرجٍ سألت حلم: بأي يوم نحن؟

ردت فرح: اليوم الرابع والعشرون من مايو، وقع الحادث منذ ثلاثة أسابيع.

حلم بذهول غير مصدقة: كيف؟ لقد ذهبت إلى هناك.

فرح: حبيبتي.. إهدئي قليلًا، أنتِ كنتِ تنوين الذهاب بنفس اليوم الذي وقع به الحادث ولكنكِ لم تذهبي.

حلم: إذًا كيف تفسرين معرفتي باسمه وما حدث له إن لم أذهب هناك؟

فرح: عندما كنتِ فاقدة للوعي كان الجميع هنا يتحدث عن الحادث وتفاصيله، وقد تردد اسم الكاتب أكثر من مرة، حتى أن التلفاز كان مهتمًا بالحادث وتفاصيله، ولقد لاحظ الأطباء أنك تتفاعلين عند ذكر اسمه وتتحرك عيناك، بل وكنتِ ترددين اسمه أثناء غيابك عن الوعي.

حلم شبه منهارة: لا أصدق.. لا أصدق، لقد كنتُ هناك.. لقد كنتُ هناك.

شريط طويل من الأحداث قد مر عليها بلا توقف، هل يعقل هذا حقًا؟

وهل ذهبتُ إلى هناك فعلًا أم لم أذهب؟ وذهابي إلى الكوفي شوب والنادل وما سمعته ورأيته هناك، هل كان وليد أوهامي وخيالاتي؟ وما تخبرني به فرح وتؤكده الصحف أيهما حقيقة؟ وأيهما خيال؟

أغمضت عينيها واستعادت ملامحه الهادئة ولحيته الخفيفة وابتسامته المميزة، تذكرت تلك الكلمة التي كان يرددها من خلف الزجاج، وتلك الوردة التي أشار لها بها، تذكرت أشياءه.. قلمه وأوراقه وكتابه ونظارته، أشاحت بوجهها بعيدًا تحاول طرد كل الأفكار والوساوس من عقلها، فلمحت بطرف عينيها تلك الصحيفة الملقاة على جانب السرير، تناولتها بيد مرتعشة وأوصال مرتجفة، فتحت الصحيفة على الصفحة التي تناولت الحادث وتفاصيله، لم تكن تبحث عن الخبر ولكنها كانت تبحث عن صورته مع الخبر، وعندما وقعت عيناها على صورته.. رأت نفس الملامح الهادئة التي تميزه مع تلك النظرة الغامضة التي تبدو من خلف زجاج نظارته، تبادر إلى ذهنها سؤال مفاجئ.. كيف تحفظ ملامحه عن ظهر قلب وهي لم تره من قبل؟

بل كيف رأته وعاشت أحداثًا وتفاصيلًا لم تحدث بالفعل كما تخبرها فرح وتؤكده كل الشواهد؟ لأنها وبحسب التسلسل الزمني للأحداث قد وقعت بعد وفاة أحمد مجدي.

شعرت بالعجز وعدم القدرة على استيعاب ما يحدث من حولها وما يعتمل داخلها، فها هو الصراع يتجدد بين ما تؤمن به وبين ما تؤكده كل الشواهد، حاوَلتْ بكل جهدٍ وبشتى الطرق

الهروب من ذلك الصراع بالنوم ولكنها لم تنجح فى ذلك، تناولت بعض المهدئات حسب إرشادات الطبيب.. ولكن هيهات أن تنجح كل المسكنات والمهدئات فى إخماد ذلك الضجيج برأسها، أشارت لفرح وقالت لها بصوتٍ خافتٍ وبعجزٍ واضحٍ: أكاد أجن.. فأنا لا أستطيع تصديق ما تخبروننى به، وأيضًا لا أستطيع إقناعكم بما أؤمن به، **اقتربت فرح منها محاولة مساعدتها على النهوض وهي تقول بصوتٍ حانٍ:** ما رأيك أن ننظر من النافذة؟ المنظر يبدو ساحرًا من هنا.

تحاملت حلم على نفسها واستندت على فرح حتى وصلا إلى النافذة، وبالفعل كان المنظر ساحرًا ويخطف الأبصار، حيث أن المشفى تحيط به الأشجار من كل جانب كما يَلوح من بعيد البحر بسحره وغموضه ومياهه الزرقاء، كان الوقت يقترب من غروب الشمس.

حلم: هل يمكننا أن نسير إلى هناك؟ أريد أن أتنفس الهواء بعيدًا عن رائحة الأدوية والمشفى.

فرح: حسنًا.. حاولي أن ترتدي ملابسكِ حتى أحصل على إذن من الطبيب، حملت كل منهما حقيبة اليد الخاصة بها واتجهتا صوب البحر، سارتا على الرمال، وكان المنظر ساحرًا بكل المقاييس بل ويخطف العقول والأبصار، حيث الموج يرتطم بالرمال وغروب الشمس بلونها الأحمر تحتضن السماء الزرقاء خلف الغمام، والسحب وهي تنعكس على صفحة الماء يشكلان لوحة بديعة، كل هذا كفيل بأن يجعل النفس تهدأ وتستعيد صفاءها

المفقود، **لم يقطع هذا الهدوء الساحر الخلاب سوى صوت فرح:** لا ينقصني سوى لوح من الشكولاتة ليكتمل هذا الجمال بعينيَ.

حلم: لكِ هذا.. فأنا دومًا أحتفظ ببعض الشكولاتة للأطفال كهدايا، أعقبت كلماتها بفتح حقيبتها لإخراج الشكولاتة لفرح وعندما التقطت لوح الشكولاتة اصطدمت أصابعها بورقة مطوية..

«**يا الله.. رباااااااه.. ما هذا؟**»

كادت تصرخ بصوت مرتفع لتخبر فرح بشأن الورقة، ولكنها تمالكت أعصابها وأعطت صديقتها ما تريد وهي تطلب منها بابتسامة خفيفة أن تتركها قليلًا بمفردها، وما إن ابتعدت فرح حتى التقطت الورقة وبأصابع مرتعشة وجسدٍ مرتجفٍ بدأت القراءة من بداية الكلمات «**أعلم أنك ستأتين**» حتى «**أحبك وكفى**» توقيع.. «**أحمد مجدي**».

كادت تفقد وعيها، ما هذا؟ وكيف يعقل ذلك؟ أرادت أن تصرخ.. هل جننت؟

أغمضت عينيها محاولة استيعاب ما يحدث وهي تردد رفقًا يا الله، وعندما فتحت عينيها لمحت زحاجة عصير فارغة ملقاة فتناولتها بهدوء، أخرجت الورقة وكتبت عليها.. «**نعم لقد أتيت وعلمتُ أنك موجود، وربما ليس مقدرًا لنا أن نلتقى هنا، أحبك وكفى**» وذيلتها بتوقيعها «**حلم عابر**»، ثم طوت الورقة ووضعتها بالزجاجة وألقتها بالماء الذي احتضنها وأخذ يتلاعب بها مبتعدًا، لتكتمل الصورة بانعكاس قرص الشمس الغاربة على الزجاجة ليشكل شعاعًا يصل الأرض بالسماء.

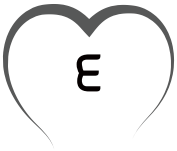

تُرى.. لماذا جمع بيننا القدر إن كان قدَر علينا أن نفترق؟

ظل هذا السؤال يلح على حلم بلا إجابة تريح قلبها المرهق أو تداوي روحها الممزقة، وبنظرة أخيرة على تلك الزجاجة التي تحمل رسالتها أدركت أن ما مر بها لم يكن سوى.. حلم عابر، تنهدت وهي تغادر الشاطئ برفقة فرح التي أرادت أن تواسيها ببعض الكلمات لعلها تخفف عنها ذلك الشعور بالوجع، وهي تخبرها أن كل شئ بالحياة قدر ونصيب، نظرت إليها حلم نظرة مستسلمة وبعض دموع فشلت أن تأسرها خلف جفونها **وهي تردد نفس كلمات فرح:** نعم.. هو قدر ونصيب.

عندما وصلا إلى المشفى قالت فرح لحلم بصوتٍ حنونٍ: ارتاحي قليلًا.. فلقد كان يومًا طويلًا.

حلم وقد وجدت ضالتها فى هذه الجملة ربما لتهرب من تلك الحيرة ومن عبرات تحاصر مقلتيها وضجيج مازال يرتع بعقلها وصور لا تغادر مخيلتها: نعم أحتاج حقًا إلى بعض الراحة.

أطفأت الأضواء وأغمضت عينيها وظل شريط تلك الأحداث يتكرر برتابة وكأنه يعيد نفسه من جديد.

مازلت أنتظرك..

مازلت أنتظرك..

مازلت أنتظرك..

بذهول حاولت حلم تتبع الصوت القادم إليها بعمق وكأنه يأتي من بئر سحيق ويكرر نفس العبارة بلا توقف، مازلت أنتظرك.. مازلت أنتظرك.

أجابت بصوتٍ مرتعش لا يكاد يغادر حنجرتها: من أنتَ..؟ من تكون؟ وماذا تريد؟

شيئًا فشيئًا لاحت لها صورته، نفس ملامحه وإن كان لا يحمل نفس الابتسامة، كان الحزن يكسو وجهه ويبدو الخوف بنظرات عينيه، **فقالت:** نعم عرفتك أنت..أنت.. ولكن كيف؟ رباه.. ماذا يحدث؟ أأنت هنا؟

كيف هذا أخبرني بالله لماذا أنا؟ ولماذا تخبرني بذلك؟

أتى صوته ضعيفًا ثم بدأ يخفت تدريجيًا وهو يردد نفس العبارة: مازلت أنتظرك.. مازلت أنتظرك.. مازلت أنتظرك.

حلم بصوت يائس: لا تغادر.. لا تغادر أرجوك، لا تغادر.

فرح بصوت قلق: حلم ما بكِ؟ مع من تتحدثين؟ أفيقي حبيبتي.. لمن تقولين لا تغادر؟ بنظرةٍ زائغةٍ نظرت حلم حولها بالغرفة وكأنها تبحث عن شيء ما.

فرح: هل أحضر لكِ الماء؟ أومأت لها حلم بالإيجاب، أحضرت فرح كوبًا من الماء فتناولته حلم بأطراف أصابعها وهي ترتعش وما أن انتهت من رشفة ماء **حتى قالت بصوتٍ واهنٍ:** كان هنا يا فرح، كان هنا.

فرح بدهشةٍ وتساؤل: من تقصدين؟ من كان هنا؟

حلم: الكاتب كان هنا، وهو يردد عبارة واحدة.. كان يخبرني أنه مازال ينتظرني.

فرح بقلق: اهدئي حبيبتي، لا شك أن أعصابكِ مازالت مرهقة من كل تلك الأحداث، ولا تنسي كم الأدوية والمهدئات التي تناولتِها، **لا شك أنه قد أثر على أعصابك، حلم:** أقسم لكِ أني قد رأيته وسمعته كما أراكِ وأسمعكِ الآن.

فرح وهي تحاول أن تطمئنها: حبيبتي.. عقلك الباطن مازال يختزن صورته، وهو ما يكرر صورته أمامكِ، فلا تقلقي.. ستكون الأمور بخير، فقط.. استريحي قليلًا، سكتت لبرهة ثم أردفت: أنظري حولكِ يا حلم.. هذه الغرفة وأنا وأنتِ فقط، حتى أنني أشك أنكِ غفوتي ولو للحظات، أعقبت كلماتها بقولها أنها ستستدعي الطبيب ليعطيها ما يهدئ أعصابها لترتاح قليلًا ، لحظاتٌ قليلة وكان الطبيب يتابع وضعها الصحي.. من ضغط ونبض القلب وصولًا إلى درجة الحرارة، أومأ برأسه وهو يبتسم أن كل شيء بخير وأنها فقط تحتاج إلى بعض الراحة، وأنه سيعطيها بعض المهدئ لترتاح، بالفعل تناولت حلم تلك الكبسولة من يد فرح وهي ترتشف بعض الماء مع نظرة يائسة لفرح وهي تتمتم بشفتيها: صدقيني.. كان هنا، أقسم لكِ كان هنا، **وضعت فرح يدها على جبين حلم وهي تبتسم ابتسامة حانية وتقول لها:** أنا هنا حبيبتي، أنا معكِ.. فقط ارتاحي قليلًا.

بدأ الظلام يتسلل إلى عقلها رويدًا رويدًا، وبدأت صورة فرح تغيب عن عينيها تدريجيًا وهي تحاول أن تقاوم ذلك الخدر الذي يجتاح كامل جسدها، يبدأ من عقلها نزولًا لعينيها وحتى أطرافها التي لم تعد تتحكم بها، بدأ الظلام يتبدد قليلًا لترى أمامها شارعًا طويلًا يحيط به الظلام من كل جانب، وهي تسير وحيدة وتتقدم بخطوات واثقة وكأنها تعرف إلى أين هي ذاهبة.

بنهاية ذلك الطريق بدأت ترى سورًا طويلًا يحيط بڤيلا راقية، والأشجار تحيط بالسور بكثافة مع بعض الزهور المتناثرة هنا وهناك.. كان الطريق خاليًا إلا منها، التفتت يمنة ويسرى لتتأكد أنه لا أحد يشاركها نفس الطريق ولكن بلا جدوى، تلك الڤيلا وذلك السور والظلام الدامس هم فقط ما يحيطون بها، دفعها الفضول لتتقدم أكثر نحو ذلك السور وتنظر من خلاله، كلما اقتربت أكثر ازدادت نبضات قلبها حدة وتصبب العرق على جبينها، وعلى بعد خطوات من ذلك السور وفي هذا الصمت المطبق ارتفع نباح كلب بصوتٍ عالٍ ليشق ذلك السكون ويقطعه.

ارتجفت وانتفض جسدها واستدارت مهرولة تحاول الإفلات من ذلك الصوت، وكما بدأ صوت نباح الكلب فجأة صمت فجأة، ليعم الهدوء والسكون المكان مرة أخرى، هنا وقفت حلم حائرة.. هل تكمل طريقها لاستكشاف المكان؟ أم تعود أدراجها مرة أخرى؟

ومن بقعة مظلمة خلف الأشجار، ومن وراء السور.. لمحت ذلك الظل بلا أي ملامح، وسمعت صوتًا يأتي من نفس المكان

يقول بصوتٍ مرتجف: عودي إليَ.. لا تتركيني وحيدًا.. لا تتركيني.. عودي إليَ.

وبصرخة مدوية شقت ذلك السكون رددت حلم نفس الكلمة عدة مرات: لا.. لا.. لا قبل أن تتهاوى وتفقد كامل وعيها، وهي تراقب ذلك الظل يغادر عائدًا خلف الأشجار من حيث أتى بوجهٍ شاحبٍ ونظراتٍ زائغةٍ ونبضات قلبٍ خافتة.. تطلعت حلم إلى فرح وإلى الطبيب الذي كان يتحدث مع فرح دون أن ينتبه لعودة حلم إلى وعيها، والتي بدورها سمعته **وهو يطمئن فرح قائلًا:** ستكون بخير، لقد قمنا بعمل رسم للمخ، فأنا أشك بتعرضها لانهيار عصبي بسيط بعدما تعرضت له من أحداث متلاحقة وعدم تقبلها للأمر الواقع.

فرح: ولكن.. بما تفسر ذلك النشاط الزائد وتضاعف دقات القلب رغم نومها على سريرها مع ذلك العرق الغزير على وجهها؟

الطبيب: كل هذا يكون منطقيًا عندما يتعرض أي شخص أثناء نومه لكابوس أو حلم مزعج، فالعقل يرسل إشاراته لكامل الجسد ليكون مستعدًا للمواجهة، مما ينتج عنه الشعور بالخوف أو زيادة دقات القلب وحتى العرق لأن الجسد يفرز مادة الأدرينالين المحفزة للجسد، أعقب كلماته بابتسامة خفيفة وهو يغادر الغرفة لتنتبه فرح لعودة حلم لوعيها، حاولت فرح قدر جهدها أن ترسم ابتسامة خفيفة على شفتيها لطمأنة حلم، ولكن من الغريب أن حلم لم يكن يبدو عليها الخوف أو القلق، ولكنها كانت شاردة تنظر إلى الفراغ وكأنها تستجمع شتات أفكارها، فجأة..

نادت فرح وطلبت منها أن تغلق الباب وتتأكد من عدم وجود أي أحد بالقرب من غرفتهم، هذا التصرف أثار دهشة فرح جدًا فهي لم تتعود ذلك من حلم والتي ارتسمت على وجهها علامات الجدية والهدوء **وهي تسأل فرح قائلة:** هل تذكرين رهف؟

فرح: هل تقصدين رهف صديقتنا من الجامعة؟

حلم: نعم هي من أقصدها.

فرح: نعم أتذكرها جيدًا فهي من الأصدقاء المقربين لنا ولكن لماذا تسألين عنها الآن؟

حلم بجدية وهدوء وهي توجه حديثها إلى فرح: أعلم أن ما يحدث لي ليس طبيعيًا، وربما لا أجد له أي تفسير وكلٌ سوف يفسره حسب قناعاته وأفكاره، فهناك من سيظن أنني أختلق هذا وهناك من سيقول تخيلات أو بسبب تأثير الحادث، ولكل منهم مبرراته لذلك، ولكني أعلم علم اليقين أن الأمر يتجاوز ذلك كثيرًا جدًا وأكثر مما يظن الجميع.

كان ما نطقت به حلم للتو كفيلًا بأن يجعل فرح بكامل تركيزها ووعيها.. مشدودة إلى كل حرف تنطق به حلم قبل أن تقول لها: هل يمكنكِ أن توضحي لي ماذا تقصدين بكلامك هذا؟

حلم: اسمعيني جيدًا وركزي معي، ما سأخبرك به هو يقين راسخ بعقلي وذهني، أردفت قائلة.. هناك رسائل تصل لي، هناك من يحاول الإتصال بى ويرسل إلي إشارات، ربما هي شفرات

نعجز نحن عن فك طلاسمها أو تفسيرها ولكن هناك بالتأكيد من يستطيع ذلك.

فرح بذهول وقد نجحت حلم في الاستيلاء على كامل انتباهها: وماذا بعد؟

حلم: هل يمكنك الإتصال برهف للحضور الآن وعلى وجه السرعة؟

فرح بلهجة متسائلة: ولماذا رهف بالذات؟

حلم: رهف بعد تخرجها تحضر للماجستير والدكتوراة في توارد الخواطر والتواصل الذهني، وربما يفيدنا تخصصها فيما يحدث لي ولا أجد له تفسيرًا.

فرح: حسنًا سأخبرها أن تأتي، وما هي إلا ثوانٍ وكانت فرح تتحدث إلى رهف وكان يبدو من حديثها مع رهف أنها تسأل عن حالها و فرح تطمئنها، التفتت فرح إلى حلم التي قاطعتها قائلة: أخبريها أن تحضر معها (اللاب توب) الخاص بها وبعض الكتب التي تتعلق بالتواصل الذهني وتواصل الأرواح، أومأت لها فرح بالإيجاب، مرت الدقائق ثقيلة عليهما وكل بضع دقائق تتطلع حلم إلى ساعتها وكأنها تتعجل عقارب الساعة لتمر بسرعة، كلما نظرت فرح إليها وشعرت بقلقها تحاول طمأنتها بابتسامة خفيفة؛ لتمتص بعض رغبتها بوصول رهف سريعًا، كانت تحدث نفسها قائلة «أن حلمًا تحاول جاهدة إيجاد تفسير لما حدث ويحدث معها، وهذا حقها، فما حدث للآن يفوق الخيال جموحًا وغرابةً، لم يقطع حبل أفكارها سوى طرقات خفيفة على الباب،

توجهت مسرعة لتفتح الباب وتدخل فتاة بنهاية العقد الثالث من عمرها.. هادئة الملامح، تحمل بين يديها باقة من الورد، ما لبثت أن وضعتها جانبًا لتحتضن فرح بسعادة غامرة قبل أن تتوجه نحو حلم لتحتضن يدها بين راحتى يديها **وهي تقول لها:** لا بأس حبيبتي، ستكونين بخير.

ابتسمت حلم بعذوبة وهي تقول: لا تقلقي.. أنا بخير.

دقائق مرت تبادل فيها الأصدقاء الثلاثة بعض ذكريات الدراسة وكيف فرقت بينهم السبل كلٌ في طريقه حسب رغبته أو ما كان مضطرًا له، رهف.. هكذا بدأت حلم حديثها مع رهف وهي تقول لها.. سأخبركِ بما مررتُ به وأعلم أن هناك بعض المعلومات أنتِ على درايةٍ بها، ولكن هناك الكثير مما تجهلينه، وسنرى إن كنتِ ستفيدينناً بذلك أم لا؟

استرعت هذه الكلمات انتباه رهف التي قالت لها : هاتي ما لديك فكلي آذان صاغية.

بدأت حلم روايتها منذ محطة الحافلة والكافية وحتى تلك القيلا وسور الحديقة والصوت الذي يطاردها فى صحوها ومنامها، لحظات ثقيلة من الصمت مرت على الجميع لم يحرك خلالها أحدهم ساكنًا من غرابة ما روته حلم، حتى فرح والتي عايشت كل الأحداث بنفسها كانت مدهوشة وكأنها تسمع هذا لأول مرة.

رهف بتنهيده عميقة: حسنًا.. أنتما الآن في ملعبي، فهل يمكنكما متابعتي دون مقاطعة؟

ردت الفتاتان بنفس الوقت: نعم.. لكِ هذا، ربما نجد لديكِ تفسيرًا لما يحدث ولا نجد له أي تفسير.

رهف: ما يحدث معكِ هو محور رسالة الدكتوراة التي أعكف عليها حاليًا، ولن أكذب عليكما عندما أقول أنه قد أصابني اليأس من تكملة تلك الرسالة، فأنا قد أنهيت جميع المحاور المتعلقة بالدراسات والنظريات، ولكن للأسف أحتاج لما يؤيدها عمليًا، وبينما تبحثان أنتما عن تفسير أبحث أنا عن رابطٍ حي يربط بين الدراسات والنظريات والواقع.

حلم: هل تقولين أن ما يحدث معي له نظريات ودراسات سابقة؟

رهف: نعم.. فبعض الدراسات أثبتت أن المرأة تتمتع بالحاسة السادسة، وأنها تتفوق بهذا، هناك أيضًا بعض الدراسات عن التخاطرعن بعد ويعرفه العلماء بأنه ظاهرة روحية يتم من خلالها التواصل بين الأذهان، وهوعمل ذهن شخص على ذهن آخر عن بعد من خلال تأثير عاطفي بدون الاتصال بالحواس، وهذا التواصل يشمل الأفكار والأحاسيس والمشاعر والتخيلات الذهنية، **ما أن أنهت رهف كلامها حتى انهالت عليها الأسئلة من فرح وحلم:** أرجوكِ وضحي ماذا تقصدين؟ وهل هذا ينطبق على ما يحدث معنا؟ وهل يكون هذا بين الأحياء والأحياء أم بين الأحياء والأموات؟

رهف: لا شيء يحكم ذلك بالتحديد، فقد يحدث بين أحياءٍ وأحياء ويسمى توارد خواطر واتصال ذهني، وقد يكون تواصل

روحي بين أمواتٍ وأحياء، مثلًا هناك أرواح تزور بعض أحبتها أثناء النوم ويحدث بينهم حديث واتصال وربما يخبرونهم بحالهم بعد الموت، **وهناك الكثير مما تم تسجيله عن ذلك، حلم:** وماذا عن الأحياء؟

رهف: هناك الكثير من الحالات الموثقة بهذا الشأن وسأضرب لكما مثالًا على ذلك..

هناك أختان توأمتأن (**ديبي و ليزا**) تفصل بينهما آلاف الأميال، ليزا تعيش في استراليا بينما تعيش ديبي في نيويورك، تعرضت ليزا لحادث سيارة مؤلم دُهست من خلاله بقوة، فشعرت ديبي بنفس الألم، وروت لأمها ما تشعر به دون أن تجد تفسيرًا لذلك، وكان بنفس التوقيت ونفس الألم الذي شعرت به أختها بالطرف الآخر من العالم.

حلم: هذا عن الشعور والإحساس بالألم أو حتى السعادة ولكن هل يمكن أن أسمع صوت وأميزه بوضوح وتفصل بيننا مئات الأميال؟ هل يعقل هذا؟ وهل أجد لديكِ أي تفسير لذلك؟ أرجوكِ.. فأنا أكاد أجن وذلك الصوت يطاردني ويرجوني.

رهف: بل سأخبرك بما يفوق ذلك دهشة وغرابة، كانت هذه العبارة كفيلة بأن تجعل حلم وفرح بحالة من الذهول والترقب في انتظار ما ستقوله رهف.

بنظرة ثاقبة من رهف إلى وجهي حلم وفرح تيقنت أنها قد استرعت كامل انتباههما وأنهما أصبحتا تنتظران بشغف ما ستقوله، **هنا مالت رهف إلى الوراء قليلًا قبل أن تتنهد تنهيدة**

عميقة وهي تقول: ربما قبل أن أخبركما بواقعة تاريخية شهيرة عن التخاطب عن بعد، سأورد لكما بعض ما قد يكون قد مرعلى الكثيرين منا، مثلًا.. كم مرة فكرت إحداكما بشخص ما وفي نفس الوقت يحضر هذا الشخص أو يتصل أو حتى يرسل رسالة؟

فرح: بالفعل تكرر هذا معي كثيرًا، ولكن في العادة لا ألقي له بالًا، وأقول ربما كانت مصادفة أو أقول لا أدري ولكنه يحدث بالفعل.

رهف مواصلة حديثها: أحيانًا يتحدث بعض الأشخاص فتخرج نفس الجملة منهم بنفس الوقت، أو ينطق أحدهم بجملة أو كلمة فيقول الآخر مبتسمًا لقد أخذتها من على طرف لساني.. ألا يحدث هذا؟

حلم: بلى يحدث كثيرًا جدًا.

رهف: هناك بعض المواقف وبعض الأحداث تحدث بالحاضر ونشعر أننا عشنا نفس هذا الموقف بنفس تفاصيله، بل وربما يحدث أحيانًا أننا نتوقع ما سيحدث وكأننا نعيد مشهد تمثيلي قديم.

هنا أومأت فرح برأسها مؤكدة على كلام رهف وتبعتها حلم بصمت.

حلم: ولكن يظل هذا من الأمور العادية التي تحدث لنا دون أن تستوقفنا، بينما ما حدث ويحدث معي أمر مختلف قليلًا، أنا لا أتخيل أو أحلم أو حتى أرى كوابيسًا، أنا أرى أشخاصًا حقيقين لم ألتقيهم من قبل، ومن ثّم أراهم وأعلم أنهم أشخاص حقيقيون،

كحبات من اللؤلؤ تساقطت بعض دموعها على خديها **وهي تقول وكأنها تحدث نفسها:** هناك شخص ملك كل مشاعري دون لقاء، شخص أصبح كل عالمي، والآن قد انهار هذا العالم ولم يعد له وجود، ليس هذا وحسب.. أشعر وكأنه يسكنني وأنني مازلت أنتمي لهذا العالم، أسمع أصواتًا وأنا بين النوم واليقظة، أعيش أحداثًا ولا أدري هل عشتها قبل وقوعها أم بعد حدوثها؟ الجميع من حولي لا يدركون حجم ما أعانيه وأعايشه، شاركتها فرح تلك الدموع قبل أن تتدخل رهف لتجاوز هذا الموقف وتكمل ما كانت قد بدأته.

رهف: ما سأخبركما به الآن حادثة تاريخية موثقة وربما تجيب على بعض أسئلتكِ أو توضح لكِ ماذا أقصد.

نحن نعلم جميعًا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب..

حلم وفرح: نعم.. رضي الله عنه وأرضاه.

رهف: تقول الرواية أنه وأثناء خلافته وفي خطبة الجمعة بمدينة رسول الله ﷺ ومن على منبره إذا به فجأة يقول وينادي بأعلى صوته

«**يا سارية الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم**» وبعد انتهاء الصلاة تجمع الناس حول عمر يسألونه عن هذا الكلام فقال.. «**والله ما ألقيت له بالًا، شيءٌ أتى على لساني**» وبسؤال أمير المؤمنين على بن أبي طالب عن الذي يقوله عمر قال «**ويحكم.. دعوا عمرًا فإنه ما دخل في أمر إلا خرج منه**» ثم تبينت القصة فيما بعد.

حلم ورهف في نفس واحد: كيف هذا؟ أكملي.. ماذا كان يقصد؟ وكيف تبين الأمر؟

رهف: حسنًا.. سأكمل القصة لكما.

لقد كان سارية بن زنيم الدؤلي من بلاد فارس، وقد كان يقاتل الفرس بعام ٦٤٥ ميلادية سنة ٢٣ هجرية على أبواب نهاوند فى بلاد فارس، ولقد تبينت القصة عندما قدم سارية إلى المدينة والتقى الفاروق في حضور الصحابة **فقال:** يا أمير المؤمنين.. لقد تكاثر العدو علينا وأصبحنا فى خطرعظيم، فسمعت صوتًا ينادي «**يا سارية .. الجبل ..الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم**» وعندئذ التجأت بأصحابي إلى سفح الجبل واتخذت ذروته درعًا لنا يحمي مؤخرة الجيش، وواجهنا الفرس من ناحية واحدة فما كانت إلا ساعة حتى فتح الله علينا وانتصرنا.

حلم بذهول: أيعقل هذا؟ كيف يصل صوته من المدينة إلى فارس؟

فرح: بل وكيف رأى ما رأى وهو بمكانه وحذر سارية بأن يلزم الجبل؟

رهف: تظل الروح دومًا سر من أسرار الخالق «**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلًا**» صدق الله العظيم.

حلم: هل تريدين القول أن روحي تنتقل من مكان إلى مكان ومن خلالها أرى أشخاصًا أو أسمع أصواتهم؟

رهف: لا أستطيع الجزم بذلك حتى الآن، ولكن علينا أن نتأكد أولًا من بعض الأحداث ونحاول ربطها ببعضها البعض.

حلم: ولذلك طلبت حضورك.

فرح: ماذا تقصدان؟ وكيف نفعل ذلك؟

حلم : سنُكون فريقًا وسيعمل كل منا على أمر ما، وعندما نجمع ما نريد من معلومات سنحاول تكوين صورة واضحة للأمر، وربما نجد خيطًا يقودنا إلى حقيقة الوضع.

فرح بحماس بالغ: نعم.. موافقة، يروقني ذلك جدًا ومستعدة لفعل أي شيء.

حلم: ستذهبين أنتِ يا فرح إلى ذلك الكوفي شوب وستحاولين جمع أكبر قدر من المعلومات عن الكاتب أحمد مجدي.. حياته، عمله، مكان إقامته، أعماله الأدبية، علاقاته.. باختصار كل ما يمكنكِ جمعه من معلومات وعليكِ أن تتأكدي من دقة معلوماتك.

رهف: وأنا ما هو دوري بتلك المغامرة؟ هل سأقف مكتوفة اليدين؟

حلم: أنتِ ستجمعين كل كتب أحمد مجدي ومؤلفاته من المكتبات، وستحاولين الحصول على كل الصحف التي تحدثت عنه في حياته أو بعد موته، وسيكون من الجيد لو التقيتِ بأحد المقربين منه.

رهف: بالتأكيد سأنجح بذلك، لا تقلقي.. أحتاج فقط إلى ٢٤ ساعة، وسيكون بين يديكِ ملف كامل عن أحمد مجدي.

فرح: وماذا عنكِ؟ هل ستنتظرينا حتى ننهي مهمتنا؟

حلم: لذلك طلبت من رهف إحضار (**اللاب توب**)، فهناك الكثير والكثير من العمل ينتظرني، وربما يكون ما أفكر به هو مفتاح كل ما يحدث.

رهف: ماذا تقصدين بقولك هذا؟

حلم: لا تشغلا ذهنكما بما أفكر به، هل أنتما جاهزتان للبدء بالمهمة؟

فرح ورهف: نعم سنبدأ من الآن.

حلم بنظرة تحمل الكثير من الحب والود: شكرًا.. شكرًا لكما.

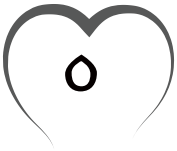

ما إن غادرت فرح ورهف غرفة حلم، حتى تنهدت تنهيدة عميقة ووضعت (**اللاب توب**) جانبها وذهبت مباشرة إلى مؤشر البحث وكتبت.. الكاتب الروائي أحمد مجدي.

استقلت فرح سيارة رهف وما إن أوصلتها إلى الكافيه حتى انطلقت برحلة البحث داخل كبرى المكتبات لتبدأ مهمتها، صعدت فرح إلى الكافيه مباشرة وجلست قريبًا من ذلك الركن المخصص للكاتب بالكافيه، حيث مازالت أشياؤه كما هي، قلمه وبعض الورق، ونظارته السوداء المهشمة.. وبعض الكتب، مرت دقائق قبل أن يأتي شاب بمقتبل العمر ببداية الثلاثينات.. يبدو من ملامحه أنه ريفي بملامح سمراء ونحيف إلى حد ما، اقترب من مائدة الكاتب من ثَم قام بترتيب الأشياء عليها وكان يحمل بيده وردة وضعها بكوب على المائدة، هَمَ بمغادرة المكان فجأة كما ظهر فجأة، **لحظات من التردد لم تستمر كثيرًا قبل أن تتوجه إليه فرح بالحديث قائلة:** من فضلك؟

الشاب وهو يلتفت من حوله ليتأكد أنها تحدثه هو وأشار إلى صدره قائلًا: هل تحدثينني أنا؟

فرح: نعم.. هل لي بلحظاتٍ من وقتك؟

تلعثم الشاب قليلًا قبل أن يجيب: نعم.. تفضلي.

فرح: هل يمكنك الجلوس من فضلك، لن آخذ من وقتك الكثير.. فقط دقائق قليلة.

الشاب وهو يجلس بخجلٍ مشوبٍ ببعض القلق: نعم نعم، لا بأس بذلك.

فرح: أنا من قراء الأستاذ أحمد مجدي ومعجبيه، ولقد لاحظتُ ما فعلته الآن، فهل أنتّ من أقاربه؟

الشاب: لا.. ليس الأمر هكذا، أنا أيضًا من قراء الأستاذ ومعجبيه وأيضًا ببداية عهدي بالكتابة، كان الأستاذ يوجهني ويدعمني وكنت أقرأ عليه ما أكتب لينصحني، فهو ممن يساندون ويدعمون المواهب الشابة.

فرح: هل له أقارب؟ أهل..؟ زوجة..؟ أولاد..؟ أصدقاء..؟

الشاب: كل ما أعلمه أن الأستاذ كان يكرس كل وقته للكتابة، وكان له عامود يومي بصحيفة كبيرة، ولم يكن يتطرق كثيرًا لحياته الشخصية.

فرح: بالتأكيد كاتب كبير مثله محبوب من الجميع، وبالتأكيد له معجبات ومعجبين، وربما يحضر سهرات مع صفوة المجتمع وهكذا.

الشاب: الأستاذ أحمد كان له عالمه الخاص، ولم يكن من محبي السهرات، وما كان يكتبه بالصحيفة خلق له بعض الحاقدين ممن لا يعجبهم فكر وتوجهات الأستاذ أحمد.

فرح: هل تقصد أنه كان له أعداء يحاربونه؟

الشاب: كان الأستاذ أحمد ينحاز للفقراء والمهمشين، وكان يعارض الكثير مما يحدث، وهذا جعله من المغضوب عليهم.

فرح: هل كنت تُحضر له ما تكتبه هنا ليقرأه أم ترسله له بالبريد ويخبرك بملاحظاته فيما بعد؟

الشاب: كنت أحضرها هنا لأقرأها له بنفسي، فهو كما تعلمين لا يستطيع القراءة.. **ثم استطرد قائلًا:** ولكن كيف تكونين من قرائه ومعجبيه ولا تعلمين أن الأستاذ كان كفيفًا؟

فرح وقد باغتتها المعلومة: الحقيقة أني بدأت بالاهتمام بعد الحادث وفعلًا قد فاجأتني بذلك، ولكن كيف يكون كفيفًا وهو كان يحضر هنا للكتابة؟

الشاب: لم يكن هو من يكتب.

فرح: إذًا كيف أو من كان يكتب إن لم يكن هو من يفعل؟

الشاب: كان له مساعد يتولى الكتابة، ولكن منذ شهر ونصف الشهر كان يرافقه أخاه القادم من فرنسا ولم يكن يفارقه ولو للحظات.

فرح: إذًا له أخ شقيق؟

الشاب: نعم.. وهذا كل ما أعرفه، شكرته فرح وتمنت له مستقبلًا جيدًا في الكتابة، غادر بعدها الشاب من حيث أتى.

نهضت فرح لتغادر المكان قبل أن تعود للخلف بغتةً وتستوقف النادل لتسأله فجأة: هل تخبرني من فضلك أين كان يجلس الاستاذ أحمد على المائدة؟

النادل بدهشة بالغة من السؤال أشار لها حيث كان يجلس وتوجه بنفسه إلى الكرسي قائلًا: هنا.. وهنا كان يجلس من يتولى الكتابة نيابة عن الأستاذ.

هنا لمعت عين فرح وأسرعت بمغادرة المكان بسرعة وهي تقول لنفسها سوف أفاجئك يا حلم بما عرفته للتو.. حقًا سأفاجئك.

كانت رهف قد حددت وجهتها مسبقًا، فهي ستذهب إلى كبرى المكتبات للحصول على أعمال الكاتب أحمد مجدى، ومن ثَم سوف تتوجه إلى مقر الصحيفة الأقرب لموقعها للحصول على كل الأعداد التي تناولت مسيرة الكاتب منذ بدايته وحتى وقوع الحادث، كان هذا سيناريو قد تم تحديده مسبقًا ويبدو أنه سهل التنفيذ خاصة مع شخصية منظمة ودقيقة مثل شخصية رهف، وبالفعل كانت مهمتها تسير كما أرادت لها، فقد اشترت معظم مجموعات الكاتب القصصية ودفعت ثمنها وتركتها لتعود لها بعد الحصول على الصحف.

كان الاتفاق بين رهف وفرح هو أن يتقابلا بعد انتهاء فرح من مهمتها بالكوفى شوب، فجأة شعرت رهف بالخوف المشوب بالقلق، وقفت فجأة لبضع ثوانٍ قبل أن تكمل مسيرها وهي تنفض عن نفسها ذلك الهاجس الذي انتابها فجأة، ومن سيراقبني ولماذا؟ رباه.. ماذا حدث لي؟ هل أصبحت أعاني من الهلاوس مما يحدث؟

استقلت سيارة أجرة إلى مقر الصحيفة وقدمت طلبًا لمسئول الأرشيف بأرقام الأعداد وتواريخ صدورها، وسددت الثمن وما هي إلا دقائق وكانت الأعداد بحوزتها، بقلق اتصلت بفرح التي أخبرتها أنها في طريقها إليها، أعطتها عنوان المكتبة ليلتقيا هناك.

عندما وصلت رهف إلى المكتبة لمحت فرحًا التي ما لبثت أن أشارت لها، حملت الاثنتان الكتب والصحف وتوجهتا إلى السيارة لتستقلاها وتنطلقا نحو المستشفى،

فرح: هل لاحظتِ تلك السيارة السوداء التي تسير خلفنا منذ انطلقنا؟

رهف: أرجوكِ لا تؤكدي شكوكي.

فرح بتساؤل: ماذا تقصدين بقولك هذا؟

رهف: كان هناك رجل يرتدي سترة بنية يتابعني من بعيد، تقريبًا تواجد في كل الأماكن التي ذهبت إليها فهل هذا من قبيل المصادفة؟

فرح: تلك السيارة التي تتبعنا منذ انطلقنا كانت بالأساس خلف سيارة الأجرة التي أقلتكِ.

رهف: ولكن كيف سنتأكد من كونها تتبعنا وأنها ليست مصادفة؟

فرح: راقبيني وانظري ماذا سأفعل وسنتأكد من شكوكنا، سأدلف الآن إلى المشارع الجانبي القادم وسأتوقف ولنرى ماذا سيحدث؟

مرت ثواني وهما متوقفتان بالشارع الجانبي قبل أن تبرز السيارة السوداء ويتوقف قائدها فجأة وقد ألجمته المفاجأة عندما وجد سيارة رهف متوقفة.

هنا تأكدت رهف وفرح من شكوكهما وأن تلك السيارة تتبعهما مما أثار خوفهما وقلقهما البالغ؛ فانطلقتا بأقصى سرعة باتجاه المشفى، ما إن وصلتا للمشفى حتى توجهتا مباشرة إلى غرفة حلم والتي كانت منهمكة لدرجة أنها لم تنتبه لدخول فرح ورهف حتى سمعتهما تتنهدان بعمق **ويقولان لها:** هل أنتِ مستعدة للمزيد من المفاجآت؟

حلم: أعتقد أن ما اكتشفته يفوق ما لديكما كثيرًا، ولكن دعانا لا نستبق الأحداث.

جلس الثلاثة بمواجهة بعضهم البعض لتقول فرح: من منا ستبدأ بالحديث أولًا؟

حلم: هاتِ ما عِندك أنتِ أولًا يا رهف.

أعقبت قولها بإحضارها دفترًا وقلمًا وهي تقول لا يجب أن نغفل عن أية تفصيلة ولو صغيرة، فربما تكون هي مدخلنا لحل اللغز، **تنهدت رهف بعمق وهي تقول:**

مرت مهمتي بسلام لولا ذلك الشخص الذي كان يلاحقني أينما ذهبت، والذي استمرت ملاحقته لي حتى بعد أن استقليت السيارة مع فرح، وغير هذا فقد أحضرت كل ما يتعلق بالكاتب من أعماله أو ما نُشر عنه.

قالت حلم بقلق: وهل تأكدتما أن السيارة كانت تتبعكما وأنها ليست مصادفة؟

روت لها فرح ما قامت به وتأكدهما من ذلك، وهنا طلبت حلم من رهف أن تنظر من النافذة لترى إن كانت السيارة متواجدة بالأسفل أم لا؟

بالفعل توجهت رهف إلى النافذة وأطالت النظر قليلًا قبل أن تعود وهي تقول أنها لا ترى ما يثير الشك وأنها لا ترى أي أثر للسيارة.

حلم: توقعت هذا.

فرح: ماذا تقصدين بقولك بأنك كنتِ تتوقعين هذا؟

حلم: من كان يراقبكما يعلم بوجودكما هنا وبالتأكيد هناك من يراقب بدلًا منه الآن، ولكن دعانا من كل هذا وهيا أخبرينا يا فرح ماذا يوجد بجعبتك لتخبرينا به؟

فرح: أنصتا إليَ وخذا نفسًا عميقًا قبل أن أخبركما بالمفاجأة الكبرى التي ستبهركما بكل تأكيد.

حلم بنبرة هادئة وواثقة: هل ستخبرينا بأن الأستاذ أحمد مجدي له شقيق؟

رهف بذهول: هل قلتِ شقيق؟

بينما اكتست ملامح فرح بالذهول وهي تقول: وكيف عرفتِ ذلك؟ وهل عرفتِ أن الأستاذ أحمد كان كفيفًا وأنه دومًا يكون معه مرافق للكتابة؟

حلم: جاء الآن دوري لأبهركما حقًا، فهلا أتيتما قربي وأوليتماني كامل وعيكما وانتباهكما؟

كان هذا كفيلًا لتصبح فرح ورهف أسيرتين لحلم وكأنهما منومتين.

هنا قامت حلم بفتح اللاب توب وضغطت على صورة لتكبيرها وقد كتب تحتها «**صورة نادرة تجمع بين الكاتب الروائي أحمد مجدى وشقيقه الرسام العالمي المقيم بفرنسا أدهم مجدي**» ثواني مرت كالدهر والصورة قيد التحميل حتى خيل إليهما أن الوقت قد توقف بهما، وعندما لاحت لهما الصورة كادتا أن يغمى عليهما من فرط الذهول، فما رأياه كان شيئًا يفوق الخيال، فهما لم يكونا فقط شقيقين ولكنهما كانا توأمين متطابقين بكل شيء، وما يميز بينهما فقط كانت تلك النظارة السوداء التي يرتديها الكاتب أحمد مجدي.

لحظاتٌ ثقيلة من الصمت مرت على الجميع قبل أن تقول فرح: ولكن من فيهما؟

رهف: ماذا تقصدين بمن فيهما؟

هنا توجهت الاثنتان بأنظارهما نحو حلم بنفس الوقت وهما تسألان نفس السؤال من فيهما؟ **وقبل أن تنطق حلم بحرف واحد لمعت عينا فرح وهي تقول:** أنا من ستجيب على هذا السؤال.

رهف: وكيف لكِ أن تعلمي؟

فرح وكأنها تعد لمشهد تمثيلي وضعت الطاولة مقابل النافذة وأمامها مباشرة وضعت كرسيًا، ومن الجهة اليسرى وضعت كرسيًا

آخرًا ومن ثم أشارت للنافذة **وهي تقول:** سنفترض أن هذه الطاولة هي تلك الطاولة بالكوفي شوب وأن النافذة هي الزجاج الأمامي الذي تمر من أمامه الحافلة التي تُقل حلم، كانت رهف تنصت بعمق بينما كانت حلم تنظر إلى النافذة وكأنها تستعيد المشهد بالكامل منذ البداية،

هنا قالت فرح: عندما سألت النادل عن الكرسي الذي يجلس عليه الكاتب أحمد مجدى أشار إلى كرسي الزاوية اليسرى وهو من حيث موقع الطاولة بالكوفي شوب يأخذ زاوية مخفية لا يرى من يمر بالواجهة وكذلك لا يراه من يمر من الخارج بينما كان شقيقه هو من يجلس بالكرسي المقابل للواجهة الزجاجية.

هنا شهقت رهف قائلة: إذًا من كان ينظر إلى حلم وكانت تراه يبتسم لها ليس هو.

فرح: كان منذ البداية أدهم وليس أحمد.

بذهول التفتت رهف ناحية حلم التي كانت مازالت تنظر إلى النافذة وبعض دموع فشلت بالاحتفاظ بها بين مقلتيها قد أفلتت لها العنان..

فرح: هل هى دموع الفرح؟

حلم وهي تغالب عبراتها: لا أدري.. لا أدري.. حقًا لا أدري.

رهف: ماذا تقصدين بذلك؟

حلم: وما أدراني أن هذا حقيقيًا وينتمي لهذا العالم؟ وما أدراني أنني لا أحلم بذلك؟ حتى أنني أخشى أن أفيق فلا أجدكما معي وأصحو لأجد نفسي نائمة أو مخدرة.

فرح: حبيبتي هذا حقيقي وأنا معكِ ورهف معكِ، ونحن من رأينا وشاهدنا ذلك، لستِ وحدكِ يا حلم ولن تكوني وحدك، وسنتأكد من كل حرف وكلمة بأنفسنا.

رهف: ماذا تقصدين بذلك؟

فرح سنذهب بأنفسنا إلى أدهم مجدي ونرى ما سيكون.

حلم: نذهب إليه.. كيف؟ ولماذا؟

رهف: كيف هذه سهلة ويسيرة، بالتأكيد عنوان كاتب شهيرسيكون متاحًا لنا معرفته عن طريق الصحف.. وهي معنا أو عن طريق دليل الهاتف.

فرح: أما لماذا؟ فحتى نقطع الشك باليقين.

حلم: بالتأكيد سنجد العزاء بالصحيفة وبه عنوان المنزل.

فرح: وأنا سأحضر دليل الهاتف وأبحث وسنرى، بعد دقائق كان بين أيديهم عنوان الكاتب أحمد مجدي والذي سجلته رهف بورقة **وهي تقول:** ڤيلتهم بضاحية المعادي وإذا تحركنا الآن سنصل ليلًا.

حلم: سنذهب ونرى الڤيلا ولكن لن ندخل.

فرح: وما فائدة ذهابنا إن لم ندخل ونرى الرسام؟

حلم: هذا شرطي.. سنذهب ونحاول جمع بعض المعلومات ولكن علينا أولًا جمع أشيائنا ووضعها بالسيارة، فقد سمح ليَ الطبيب بالخروج اليوم والمتابعة حسب الحاجة.

فرح ورهف وهما تجمعا أغراضهما: حسنًا.. كما تحبين.

تولت فرح القيادة بجانبها رهف بينما جلست حلم بالمقعد الخلفي تتأمل الشوارع والمارة وصورة أدهم لا تفارقها، نفس الملامح وتلك الابتسامة وكلماته التي كان يهمس لها بها.. **«كنتُ عاهدتُ قلبي يومًا أن يظل مغلقًا ولا أعرضه لأي جُرح يؤذيه، وما كنت لأقوى على صدمات تقتل ما بقي من روحي، ولكن عندما دخلتَ عالمي نقضْتُ ذلك العهد وأصبحتَ أميرًا على عرش قلبي»** .. كلمات رددتها حلم بينها وبين نفسها وهي شبه غائبة عن الوعي، حتى سمعت صراخ رهف.. أين ذهبتِ؟ نحن هنا **فردت بابتسامة:** أنا هنا.. أنا هنا، ولكن أين عساه هو؟

بدأت ضاحية المعادي تلوح بالأفق وتظهر بعض القيلات المتناثرة هنا وهناك، وبعض المباني الشاهقة والكثير من السيارات الفارهة بذلك الحي الراقي قبل أن يدخلوا إلى شارع طويل يبدو مظلمًا، ورهف تقول: هنا يجب أن ننظر جيدًا فهذا هو الشارع، للحظات خيل لحلم وكأنها أتت إلى ذلك الشارع من قبل حتى أنها وجدت نفسها تلقائيًا توجه فرح **وهي تقول:** تقدمي إلى الأمام مباشرَة.

وما هي إلا لحظات حتى بدا لهم سور طويل تحيط به الأشجار المتناثرة هنا وهناك وبعض النباتات، وفجأة شق سكون المكان صوت نباح كلب هز الأرجاء، **هنا انتفضت حلم وهي تصرخ قائلة وهي تشير لفرح:** كنت هنا.. ذلك هو المكان، لقد أخبرتك بهذا.. أقسم أنني كنت هنا.

أوقفت فرح السيارة وغادرتها تتبعها رهف التي فتحت الباب لحلم وهي تحاول تهدأتها، وإذ فجأة يشق سكون الليل والظلام سيارة ڤان كبيرة تتوقف فجأة لينزل منها ثلاثة رجال أشداء وكأنهم لاعبو كمال أجسام يجتذبون حلم وفرح ورهف، ويضعونهم داخل الڤان لتنطلق السيارة بسرعة وهي تشق سكون الليل الذي لا يقطعه سوى صرخات الثلاثة وهن يقاومن بكل قوتهن لمحاولة التخلص من تلك القبضات التي ألقتهن بسهولة ويسر وكأن شيء ما لم يحدث.

ثواني مرت كالدهر داخل الڤان بعد أن أصبحت الصديقات داخلها.

ظلام يسيطرعلى المكان ولا يُسمع شيء سوى أنفاسهن المتلاحقة وصوت إطارات السيارة وهي تقطع الطريق بسرعة قصوى.

حلم وهي تنادي فرح ورهف: هل أنتما بخير؟

رد الاثنان: نحن بخير لا تقلقي.

فرح: هل لاحظتما شيئًا؟

رهف: هل تقصدين أن السيارة هدأت من سرعتها؟

حلم : ويبدو أنها دخلت مكانًا مغلقًا، وما هي إلا ثواني حتى وقفت السيارة تمامًا وسمعوا صرير الباب وهو يفتح، وصوت يخبرهن بأن يترجلن من السيارة، بالفعل نزلت رهف أولًا تبعتها حلم وفرح، كان المكان يشبه ڤيلا من دورين تحيط به حديقة صغيرة وبوابات إلكترونية، كان عليهن تجاوزها قبل أن يجدن

أنفسهن بمكتب صغير به ثلاث مقاعد جلدية تبدو فاخرة، ومكتب بيضاوي من خلفه كرسي مدولب يجلس عليه رجل يدير لهن ظهره، مرت ثواني لم يقطعها سوى مغادرة الرجل الذي أوصلهن وصوت الباب وهو يغلق من خلفه محدثًا صوتًا مدويًا لم ينجح بإخفاء صوت دقات قلوبهن العالية، سمعن ذلك الرجل يقول وهو مازال يدير لهن ظهره تفضلن بالجلوس.

رهف بحدة: أين نحن ولماذا نحن هنا؟

استدار الرجل بهدوء موجهًا بصره وحديثه لحلم قائلًا: آنسة حلم تفضلي أنتِ ورفيقاتك بالجلوس سأطلب لكن عصير الليمون حتى تهدأ أعصابكن قليلًا، وأعتذرعن تلك الطريقة التي تم إحضاركن بها.

ثم استطرد قائلًا: ولكن كان هذا من أجل مصلحتكن وحرصًا على حياتكن.

كان شابًا في بداية العقد الرابع، وسيم الملامح قد خط الشيب فوديه قليلًا ليضفي عليه ذلك مزيجًا من الوسامة والمهابة، ويمتلك نظرة هادئة رغم حدتها.

رهف: من فضلك أين نحن؟ ولماذا نحن هنا؟ ومن أنتم وماذا تريدون منا؟

فُتح الباب فجأة ودخل الرجل يحمل ثلاثة أكواب من الليمون وضعهم أمامهن مغادرًا المكان بسرعة، نظرت فرح إلى حلم ورهف فوجدتهما تبادلانها النظرات، فما إن أخبرهن ذلك الرجل برغبته في احضار الليمون حتى حضر الليمون دون أن

يطلبه، **وقد ازدادت دهشتهن أكثر عندما توجه ذلك الرجل بالحديث إلى حلم قائلًا:** معذرة.. كنت أود أن أحضر لكِ فنجان القهوة السادة الذي تفضليه ولكني متأكد أنهم هنا لن يعدوه كما تعديه أنتِ بنفسك.

حلم: من فضلك.. لماذا نحن هنا؟ وماذا تريد منا؟

مال الرجل قليلًا إلى الوراء وقد بدت الجدية على ملامحه وهو يقول: أنتن هنا بمقر المخابرات المصرية وأنا الرائد أمجد مصطفى.

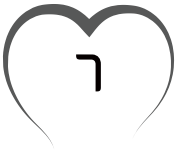

بدهشة بالغة تبادلت حلم وفرح ورهف النظرات وهن يرددن بنفس الوقت: المخابرات..! وما شأننا نحن بالمخابرات؟ وهل نحن متهمات بشيء؟

الرائد أمجد: اشربن الآن الليمون وسأخبركن بكل شيء، حاولت كلٌ منهن الربط بين الأحداث ببعضها البعض دون جدوى، فما الرابط بين الكاتب والرسام وما حدث وما يحدث الآن؟

حلم : أرجوك أخبرنا بما يحدث؟

قالت هذا وهي تشعر بأن جسدها يتهاوى والعرق يغزو جبينها وانتفاضة قد بدت على كامل جسدها.

فرح: هل أنتِ بخير؟

الرائد أمجد: هل أحضر لكِ ماءً؟

رهف: هي مريضة ومازالت في فترة النقاهة وأعصابها مرهقة.

الرائد أمجد: أعلم ذلك ولكنها ستكون بخير، والآن أخبروني بصدق لماذا تتبعن أخبار الرسام أدهم مجدي؟

فرح: نحن لا نتتبع أخباره هو ولم نكن نعلم بوجوده قبل اليوم ولكننا كنا نجمع بعض المعلومات عن شقيقه الكاتب أحمد مجدي.

الرائد أمجد: لماذا؟ ولِمَ كنتن تراقبَن قيلتهم؟

رهف: نحن لم نكن نراقبهم ولكننا أردنا أن نجمع أي معلومات قد تفيد فى فك شفرات ذلك اللغز الذي يصعب حله.

الرائد أمجد: هلا أخبرتموني بذلك اللغز منذ البداية وحتى الآن؟

روت له فرح كل ما مر عليهم منذ البداية وحتى وصولهن إلى مكتبه، كان يقاطع حديثها أحيانًا ليسأل حلم مستوضحًا بعض الأشياء والتي كانت تجيبه بصعوبة.

بدت عليه علامات الدهشة والتعجب وهو يستمع لحديثهن، **عم المكان صمت عميق لبعض الوقت قطعه الرائد أمجد قائلًا:** رغم غرابة ما أسمع إلا أنه يبدو مُكملًا ومتماشيًا مع ما ستسمعوه مني الآن، ولكن أريدكن أن تعلمن أن ما ستسمعونه الآن لن يغادر جدران تلك الحجرة وهذا لسلامتكن أولًا ولسرية تلك المعلومات ثانيًا.

كان هذا كفيلًا لأن ينتبه الجميع له ولأن تتعلق أنظارهن بفمه **وهو يكمل حديثه قائلًا:** عندما سافر أدهم ليدرس فن الرسم في فرنسا التقى هناك بفتاة فرنسية اسمها رين، أحبها جدًا وهي أيضًا أحبته جدًا، وقد علمنا من مصادرنا أن الموساد الإسرائيلى حاول تجنيده ليعمل لصالحهم ولكنه رفض رفضًا قاطعًا، كانت

كل شكوكنا تحوم حول رين وأنها ربما تكون تحاول الضغط عليه ليقبل بذلك، ولكننا تأكدنا فيما بعد أنها أحبته بالفعل وقد تزوجا وأنجبا طفلة تبلغ الآن من العمر أربعة أعوام اسمها لين، للأسف عندما فشل الموساد في تجنيد أدهم حاولوا اغتياله في فرنسا، وقبل أن نتمكن من إعادته إلى مصر دبر الموساد محاولة اغتياله في ريف فرنسا، حيث كان يقضي عطلته هناك.. ونتج عن ذلك الحادث موت زوجته وإصابته هو وابنته، فقد أصيبت لين بكسور ورضوض وأصيب أدهم بنزيف في المخ نتج عنه فقدانه للذاكرة، وعندما أعدناه إلى مصر كان قد نسي كل شيء عن حياته السابقة وتنتابه من الحين إلى الآخر نوبات من الصراخ يردد خلالها اسم زوجته.

كان هذا كفيلًا لأن تتسارع دقات قلوبهن وتكاد تغادر صدورهن من غرابة ما سمعوه.

رهف: وما شأننا نحن بكل هذا؟

الرائد أمجد: كل ما حدث حتى الآن يبدو عاديًا جدًا مقارنة بما ستسمعونه.

قال تلك العبارة وتوقف لتتوقف معه قلوبهن وتغادر أعينهن محاجرها، أدرك الرائد أمجد أنهن أصبحن أسرى لكلماته **فأردف قائلًا:** ظننا أن الأمر قد انتهى إلى هنا بالنسبة لجهاز المخابرات الإسرائيلي الموساد ولكننا علمنا بوصول أحد أبرز ضباطهم إلى مصر وأنه مازال يراقب أدهم وتحركاته، بل والأدهى من ذلك أنه يحاول الدخول إلى ڤيلته.

رهف: ولكن لماذا؟ وماذا يريدون منه بعد كل ما فعلوه؟

فرح: ولماذا لم تقبضوا على الجاسوس ما دمتم تعلمون بأمره؟

الرائد أمجد: نحن نضعه تحت أعيننا، ومازال حرًا طليقًا لنعرف ما هو الشيء الذي يسعون خلفه، فيبدو أنه شيء بالغ الأهمية للغاية.

حلم: أولم يستعد أدهم أي شيء من ذاكرته للآن؟

الرائد أمجد: بعد عودته من فرنسا فاقدًا لزوجته وفاقدًا لذاكرته كان شبه محطم، حتى ابنته لم يكن يستطيع التعامل معها، حاول شقيقه الكاتب أحمد مجدى إخراجه من تلك العزلة التي فرضها على نفسه فأخبره أن مرافقه سيجري عملية جراحية ويحتاج إلى المراحة، ورجاه أن يحل محله ويذهب معه ليكتب له بدلًا من مرافقه.. وقد كان، فقد نجحت خطته وأصبح يتردد معه على الكوفي شوب، في بادئ الأمر كان يبدو الأمر ثقيلًا على نفسه ويحاول التهرب منه واختلاق الأعذار لعدم الذهاب، ولكن فجأة تغير الأمر جذريًا وأصبح هو من يبادر بالذهاب إلى الكوفي شوب وإن أراد الأستاذ أحمد عدم الذهاب كان هو يلح عليه بالذهاب، وعلى غير عادته كان يتألق ويرتدي أفخر ثيابه مما أثار دهشة أخيه ومدبرة المنزل والسائق حتى العاملين بالكوفي شوب والذين لاحظوا ذلك التغيير الذي طرأ عليه.

أعقب كلامه بقوله: كان يبدوا وكأنه على موعد مع حبيبته.

هنا شعرت حلم بالخجل وتوردت وجنتاها بحمرة الخجل حياءً بعد أن شاهدت فرح ورهف يرمقانها وكأنهما قد أدركتا سر تغير أدهم، وهذا ما كانت تفكر به حلم فلقد أعادتها كلماته إلى تفاصيل الأحداث كاملة، نظراته لها.. ابتسامته العذبة.. كلماته والتي كان يخبرها فيها بأنه يحبها وكأنه يعرفها منذ أمد بعيد، **تلك الوردة التى كان يلوح لها بها، قطع حبل أفكارها الرائد أمجد قائلًا:** كان هذا حتى وقع الحادث الذي توفي فيه شقيقه ومات السائق ونجا هو بأعجوبة.

رهف وهي تتنهد تنهيدة طويلة: حسنًا.. ولكن رغم غرابة ومأساوية كل ذلك مازلنا إلى الآن نجهل لماذا نحن هنا؟ وأيضًا لماذا تخبرنا بكل هذا؟ بينما أنها ربما تكون معلومات سرية للغاية.

الرائد أمجد: سؤال غاية في الذكاء منكِ آنسة رهف والإجابة ببساطة أننا نريدكن داخل الڤيلا.

وقعت كلماته عليهم كالصاعقة بينما يرددن بنفس واحد: نحن.. كيف؟ ولماذا؟ ووو..

الرائد أمجد: كيف؟ هذه تخصنا نحن، أما لماذا فمن أجل هذا.. أعقب ذلك بإخراج ملف كبير والتقط منه صورة أخذ يتأملها قليلًا قبل أن يديرها لهن ليرونها، وما إن وقعت أعينهن على الصورة حتى تبادلت فرح ورهف النظرات بدهشة بالغة وهما تشهقان بذهول قبل أن تقف حلم وتلتقط الصورة لتتأكد مما تراه، من ثَم يتهاوى جسدها بعنف لتقع فاقدة للوعي وسط ذهول الجميع.

تحرك الرائد أمجد بسرعة في اتجاه حلم والتي كانت تتنفس بصعوبة وسط قلق وخوف فرح ورهف اللتين كانتا تحاولان إفاقتها بصعوبة بالغة وهما ترددان اسمها بقلق.

اقترب منها الرائد أمجد حاملًا بين يديه قنينه من العطر مقربًا إياها من أنفها، والذي ما إن استنشقته مع أنفاسها حتى حركت رقبتها يمنة ويسرى ونظرت بعينيها إلى فرح ورهف وهي تحاول النهوض مستندة على ذراعيهما، جلست على المقعد ومالت إلى الوراء محاولة استعادة أنفاسها المتلاحقة **وهي تقول بنبرة خافتة:** كيف يعقل هذا؟

وضعت رأسها بين كفيها وهي تنظر إلى رفيقتيها قائلة: هل ما رأيته حقًا؟ أنا لا أتخيل هذا أليس كذلك؟ أنتما أيضًا رأيتما هذا معي؟

رهف موجهة حديثها إلى الرائد أمجد: هلا وضحت لنا ذلك؟ هل هي صورة حقيقية أم مركبة؟

فرح: كيف تكون حقيقية؟ وحلم لم تذهب إلى فرنسا مطلقًا؟

الرائد أمجد كما ترون.. الصورة بمحيط برج إيفل في فرنسا ويبدو بها أدهم وزوجته رين وابنتهما لين.

حلم: ولكنها وكأنها أنا.

الرائد أمجد: نعم هي تشبهك إلى حد بعيد.

فرح: هي لا تشبهها فقط بل هما وكأنهما توأمتين.. نفس الملامح، نفس العيون، نفس الطول، لا أكاد أجد أي فروق بينهما.

رهف: شيء لا يصدقه عقل حقًا بل يكاد يكون مستحيلًا، ولو أخبرني أي أحد بما رأيته بأم عيني ما صدقت ذلك مطلقًا.

الرائد أمجد: عندما عملت على ملف تلك القضية كنت متعاطفًا جدًا مع أدهم وما حدث لزوجته وابنته، مع تتبعنا لخيوط الأحداث هنا وهناك، وعندما علمنا بوجودك ظننت للوهلة الأولى أن هناك أصابعِ خفية وراء ما يحدث، وقد ظننت أن حادث وفاة رين كان مفتعلًا أو مختلقًا لإبعادنا عن الحقيقة، ولكن بالبحث عنكِ وعن ماضيكِ علمنا كل شيء عنكِ وأن الأمر لا يتعدى كونه مصادفة بحتة ربما لا تحدث إلا بنسبة واحد في المليون ولكنها قد حدثت وهذا لحسن حظنا.

حلم: ماذا تقصد بقولك أن هذا لحسن حظكم؟ وفيما يفيدكم ذلك؟

الرائد أمجد: آنسة حلم.. الموضوع لا يتعلق بأشخاص فقط بل هو يتعدى ذلك كونه يتعلق بأمن الوطن، وهؤلاء الأشخاص لم يفعلوا كل ما فعلوه إلا لأنهم يبحثون عن شيء ما أو يخططون لشيء ما، وهذا ما سنحاول كشفه خلال الأيام القادمة، كذلك أدهم.. هو فاقد للذاكرة وربما قربك منه قد يعيد له ذاكرته مرة أخرى، وهذا سيفيده وابنته وسيفيدنا.

رهف: ولكن كيف سنفيدكم بذلك؟

الرائد أمجد: ستدخلون ڤيلا أدهم مجدي ومِن هناك ستبدأ خطتنا.

فرح: هل سندخلها خلسة؟

الرائد أمجد: لقد رتبنا لكل شيء فكما أخبرتكن أن لين بلغت الرابعة من عمرها وهي تحتاج لمن يهتم بها ويدرسها، وبالإتفاق مع مدبرة المنزل السيدة فريدة ستتقدمن للعمل كمدرسات للبنت حسب الإعلان بالجريدة وسيتم قبولكم للمهمة وستكونن تحت أعيننا.

رهف: وماذا لو رفضنا تلك المهمة؟ هل سيكون ذلك من حقنا أم أننا سنكون مجبرات على ذلك؟

الرائد أمجد بابتسامة خفيفة: لكن كل الحق في الرفض أو القبول، في النهاية هي مهمة من أجل الوطن وأمنه وسلامته.

حلم: بل سأقبل بالمهمة وسأدخل الڤيلا .

فرح: هل أنتِ واثقة من ذلك حقًا؟ أخشى أن يعرضك ذلك ويعرضنا للخطر

حلم: قلت سأقبل بالمهمة ولم أقل سنقبل يا فرح، أنتما كفاكما ما حدث لكما حتى الآن بسببي.

فرح: وهل جال بخاطرك للحظة أنني قد أتركك وأتخلى عنكِ بمثل هذا الموقف يا رفيقة الدرب؟

رهف: عن نفسي فأنا سأسبقكما إلى هناك فهذا الأمر ليس فقط من أجل الوطن ولكنه يخدم أبحاثي والتي ستصب في خدمة البشرية.

تهللت أسارير الرائد أمجد وهو يقول: على بركة الله تبدأ عمليتنا والتي سنطلق عليها العملية حلم وهذه ستكون كلمة السر التى يستخدمها عملاؤنا لتنبيهكن لأي خطر أو لإبلاغكن أنهم ينتمون للجهاز.

رهف بابتسامة غامضة: أشعر بالإثارة منذ الآن، يعجبني هذا جدًا ويروق لي وها قد تحقق حلمي لأصبح عميلة سرية.

فرح: حسنًا أيتها العميلة.. هل يمكنكِ إعادتنا إلى حيث سيارتنا؟

الرائد أمجد مبتسمًا: لا داعي للقلق.. لقد أحضرنا سيارتكن وهي بالأسفل، وسيقوم أحد رجالى بإيصالكن إلى المنزل، ولكن لا تنسوا غدًا فى تمام الساعة التاسعة صباحًا ستتقدمن لطلب الوظيفة بقيلا أدهم مجدي.

أومأت حلم ورفيقتاها بالإيجاب وهن يغادرن المكان والرائد أمجد يودعهن بابتسامة ودودة.

حلم من داخل السيارة موجهة حديثها إلى فرح ورهف: ستكونان بضيافتي اليوم حتى نتوجه غدًا إلى عملنا الجديد.

فرح: لا مشكلة عندي في ذلك فأمي حذرتني من تركِكِ بمفردك ولو للحظة واحدة.

رهف: وأنا كمغتربة سيكون من السهل تواجدي معكما، فقط سأبلغ رفيقاتي بسكن المغتربات وكذلك سأبلغ والدي حتى لا يقلق إذا اتصل ولم يجدنى.

تستغرق السيارة وقتًا طويلًا حتى تصل إلى شقة حلم والتي ما إن أدارت المفتاح حتى **قالت بقلق:** تُرى ماذا حدث للعصافير؟ مضى وقت طويل وأنا بعيدة عنهم.

ابتسمت فرح بصوتٍ عالٍ وهي تقول: وهل يفوتنى ذلك؟ لقد اهتممت بكل شيء، عصافيرك، ورودك ونباتاتك.. فأنا أعلم حبك بل وشغفك بهم، نظرت حلم لها نظرة ممتنة **وهي تشكرها قائلة:** لا أدري ماذا كنتُ لأفعل بدونك يا رفيقة الدرب.

رهف: أكاد أتضور جوعًا فإن لم تتداركا الوضع ربما أتحول إلى زومبي وأتجول ليلًا لالتهامكما، أعقبت قولها ذلك بابتسامة خفيفة بينما توجهت حلم إلى المطبخ قائلة عشاءكما اليوم من يدي فأنا طاهية بارعة وسأدهشكما حقًا.

رهف: لقد سال لعابي قبل أن تُعدي شيئًا.

حلم: أنا أفضل فتاة في الشرق الأوسط تقوم بسلق البيض وعمل السلطة، هنا هجمت فرح ورهف على حلم وهما تطاردانها وهي في طريقها إلى المطبخ، في جوٍ من المرح أنهت الرفيقات عشاءهن وإن لم ينجح ذلك في إخفاء قلقهن وخوفهن مما هن مقدمات عليه.

كانت حلم مستيقظة عندما أعلن المنبه عن الساعة الثامنة فأخذت توقظ فرح ورهف اللتين استيقظتا وهما تتثائبان وتفركان أعينهما من أثر النعاس، دقائق مرت عليهن وهن يتناولن قهوتهن وبعض قطع الكعك المحلى، من ثَم ارتدين ثيابهن واستقللن سيارتهن واتجهن إلى المعادي حيث ڤيلا أدهم مجدي، وعند

البوابة الخارجية فتح لهن الحارس الباب، فسرن مسافة قصيرة قبل أن يترجلن من السيارة ليحاولن تبين معالم الڤيلا من الداخل، وكانت ڤيلا كبيرة تحيط بها حديقة جميلة من الواضح الإعتناء بها، وكم لا بأس به من الأشجار المعمرة والتي تلقي بظلالها على سور الحديقة من الداخل، تقدمن إلى بهو الڤيلا من الداخل.. كانت عبارة عن دورين، وكانت تنم عن ذوق واضح من حيث الأثاث واللوحات على جانب الدرج.. وبعض التحف التي وضعت بشكل متناسق لتعطي رونقًا للمكان وتضفى عليه مزيدًا من الجمال.

رهف: ما كل هذا؟ في حياتي لم أر مثل ذلك، هل تشاهدا كم هذه التحف والأنتيكات؟

فرح: حقًا وكأننا بمتحف صغير، حقًا هذا رائع جدًا جدًا.

أتى صوت من خلفهن يقول: الأستاذ أدهم ليس فنانًا ورسامًا فحسب، بل هو هاوٍ لجمع التحف والأنتيكات، وقد جمع الكثير خلال رحلاته بالخارج.

التفت الثلاثة إلى مصدر الصوت.. كانت سيدة في العقد الخامس من عمرها، متأنقة وهادئة الملامح وتبدو الطيبة على محياها، **ابتسمت وهي تقول بصوت رقيق:** لم أعرفكن على نفسي أنا فريدة مدبرة المنزل.

ابتسمت حلم وهي تقول: نحن هنا ل ...

قاطعتها فريدة وهي تقول: سبحان الله هل هذا معقول؟ لم أصدق عندما أخبرني بذلك السيد أمجد، ولكن ما أراه بعيني حقًا لا يُصدق يا ابنتي.

حلم: هل سنلتقي بالأستاذ أدهم الآن؟

فريدة: لا يا ابنتي، ربما الآن ليس الوقت مناسب لذلك، فهو بعد ما مر به يبدو حزينًا للغاية، ورغم طيبته ورقته الشديدة إلا أنه أصبح يتعامل بقسوة بعض الشيء مع من حوله، لم تدرك حلم سر ارتياحها عندما أخبرتهن فريدة أنهن لن يلتقين بأدهم الآن.. ربما بقرارة نفسها تعلم أن الوقت ليس مناسبًا لذلك .

حلم: هل يمكنكِ أن تحدثينا عن الأستاذ أدهم وشقيقه رحمه الله وعن نشأتهما والعلاقة بينهما؟

فريدة وقد عادت إلى الوراء وكأنها تستعيد ذكريات قديمة: والدهما هو الأستاذ مجدي أحمد مجدي.. محامي شهير وله صولاتٍ وجولاتٍ في المحاكم، وكان نصيرًا للفقراء والمظلومين، عملت معه كسكرتيرة في مكتبه لفترة طويلة قبل أن تصاب زوجته بمرض خطير جعلها عاجزة عن رعاية توأمين، ونظرًا لثقته بي طلب مني الحضور إلى المنزل لرعاية الطفلين، ولم يمضِ وقت طويل حتى رحلت والدتهما إلى الرفيق الأعلى مع عدم قدرة الطب في ذلك الوقت على إنقاذها، لقد حاول والدهما أن يعوضهما فقدان الأم وبذل كل جهده لإسعادهما، وكان يحلم أن يلتحقا بكلية الحقوق ليكملا مسيرته بنصرة الحق، ولكن للأسف هذا لم يحدث فقد التحق الأستاذ أحمد بالحقوق فعلًا وأنهى دراسته،

ولكنه لم يعملِ بالمحاماة وتوجه إلى الأدب والكتابة، أما أدهم فقد رفض رفضًا قاطعًا الدراسة هنا، وأصر على دراسة الفنون في فرنسا.. وتحت إلحاحه وافق والده مضطرًا، ومات والدهما وهو يوصيني بهما.

ذرفت بعض دمعات فشلت بمنعها من النزول، مما جعلهن يحترمن دموعها بصمت.

قطع صمتهن صوت طفولي يأتي من فوق الدرج، كانت طفلة صغيرة رقيقة الملامح تشبه الملاك الصغير، تسير برفق وتتهادى على الدرج محاولة النزول إلى الأسفل، كانت حلم ورفيقاتها مقابل الدرج من ناحية الظهر لذلك لم ترهن لين بوضوح، **وما إن أكملت نزولها وأصبحت بمواجهة حلم حتى قفزت نحوها بمرح طفولي وهي تصيح قائلة:** لقد تأخرتِ عليَ كثيرًا.. أين كنتِ؟ أنا انتظرك للذهاب إلى الملاهي كما وعدتِني، كانت تنطق الحروف بلهجة عربية بلكنة فرنسية وهي تقبل حلم وتحتضنها.

كان هذا كفيلًا بأن يجعل الجميع يذرفن دموعهن وهن ينظرن إليها بعطفٍ وشفقة لبراءتها وطفولتها، فقد ظنت لين بعفوية الأطفال أن أمها قد عادت من السفر، لبرهة لم تدرِ حلم ماذا تفعل؟ أو كيف تتعامل مع لين؟ التي تعلقت بكلتا يديها بملابس حلم محاولة التعلق برقبتها، وبعفوية وجدت حلم نفسها ترفع لين إلى الأعلى لتضمها إليها بشدة وتقبلها بحنو قبل أن تغيب الاثنتان في حضن طويل جعل الجميع يشعرن بقشعريرة تنتاب أجسادهن من تأثير الموقف، لحظات مرت قبل أن تقطع السيدة

فريدة هذا العناق الطويل قائلة: سأعد لكن بعض القهوة والكعك، **هنا التفتت إليها لين بمرح وهي تقول:** ولا تنسي الشكولاتة لي.

ابتسم الجميع قبل أن تغادر فريدة لإعداد القهوة وهنا جلست الفتيات الثلاثة يتحدثن بهمس فيما ن مُقدمات عليه.

رهف: كنت أتمنى أن نلتقي بالأستاذ أدهم، فهناك الكثير من الأسئلة أود أن أحصل على إجاباتٍ عليها منه.

فرح: هل جننتي؟ هو ليس مهيأً للإجابة عن أية أسئلة بوضعه هذا، أم نسيتي أنه فاقد للذاكرة ولا ندري متى أو كيف قد تعود له؟

حلم: أشعر وكأنني جئتُ إلى هنا من قبل، لا أدرى كيف أو متى؟ ولكن أشعر وكأنني أنتمي إلى هذا المكان، بهذه اللحظة وقبل أن تتساءل رهف عما تقصده حلم دخلت فريدة تحمل القهوة وبعض الكعك المحلى للجميع، رن هاتف حلم فأخرجته من حقيبتها لترى من يطلبها بهذا الوقت، عندما نظرت إلى شاشة الهاتف توجهت إلى صديقاتها وهي تهمس قائلة: إنه الرائد أمجد، أعقبت هذا بالرد مباشرة وقد بدا من حديثها أنه يسأل عنهن وعن وصولهن إلى الڤيلا **حتى قالت حلم له ردًا على كلامه:** هل أفهم من هذا أن الخروج بصحبة لين مسموحًا به؟

لحظات من الصمت مرت وهي تستمع إلى كلامه قبل أن تودعه بقولها: إن شاء الله سنرى وسأخبرك بكل التفاصيل.

رهف: ماذا يريد؟

حلم: كان يطمئن علينا وسألني إن كنا نود الخروج للتنزه لتتعود علينا لين.

فرح: ولكن هل يسمح والدها بخروجها معنا؟

فريدة: سأخبره بذلك وسنرى، وأعتقد أنه لن يرفض أو يمانع فهو منذ تلك الحادثة الأخيرة وهو لا يكاد يغادر المرسم ويراقب الصور من حوله بصمت.

رهف: وأين ذلك المرسم؟ وهل يمكننا دخوله ورؤية ما فيه من صور؟

فريدة: يبدو هذا صعبًا في الوقت الحالي، ولكن ربما يكون متاحًا في القريب.. من يدري؟

حلم: ما رأيكما لو نأخذ لين إلى الملاهى؟ هل رأيتما توسلاتها لي لاصطحابها إلى هناك؟

فرح:عن نفسي موافقة وبشدة، فأنا أعشق ركوب السيارات وقطار الملاهي السريع وحتى بيت الرعب.

ابتسمت رهف وهي تقول: سنرى مدى تحمل قلبكِ لبيت الرعب أيتها المغامرة. حلم: سأبلغ الرائد أمجد بذهابنا إلى الملاهي كما أخبرني حتى يكون على علم بتحركاتنا.

تحركت فريدة لتخبر أدهم بخروج لين بصحبة مدرساتها الجديدات.

حلم: سيكون الخروج مساءً عقب صلاة المغرب، وحتى يأتي هذا الوقت سنذهب إلى المنزل لارتداء ما يناسب هذه النزهة.

اتفقت حلم مع فريدة على ذهابهن الآن وعودتهن مساءً لاصطحاب لين إلى الملاهي، أثناء خروجهن من الڤيلا مررن بالحديقة حيث كانت تلهو لين بين الزهور والأشجار مع كلب ضخم من فصيلة (**دوبرمان**) قبل أن يسمعن صوتًا يأتي من بعيد ينادي «**ريكسي.. ريكسي**» وعلى إثر ذلك النداء توجه الكلب باتجاه الصوت وبحركة لا إرادية من الصديقات توجهت أنظارهن حيث ذلك الصوت وحيث ركض الكلب، كان شابًا وسيمًا في الثلاثينات من عمره، يمتلك جسدًا رياضيًا، كانت لحيته كثيفة بعض الشيء وله شارب خفيف، أخذ الكلب يتقافز بين يديه وكأنهما أصدقاء قدامى، نظر أدهم باتجاههن وقد بدا وكأنه تفاجأ بوجودهن في حديقة ڤيلته.

كانت المسافة التي تفصلهن ليست قريبة لتظهرهن بوضوح ولا بعيدة لتخفي ملامحهن.

نظرت حلم باتجاه أدهم وقد شعرت بالخدر يسري بكامل جسدها، والتقت عيناها بعينيه، لحظاتٌ مرت ثقيلة كالدهر لم تدرِ كم مر من الوقت وهي تقف بلا حراك، لا تدري هل تتقدم نحوه أم تواصل طريقها إلى حيث بوابة الڤيلا؟

وقف أدهم جامدًا في مكانه يبادلها النظرات دون أن يبدي أي انفعال سوى دمعات سالت من عينيه، ورغم تلك المسافة التي تفصل بينهما لمحتها حلم وبحركة لا إرادية وعفوية أدهشت فرح و رهف، تقدمت حلم نحوه وكأنها تسير وهي نائمة أو لا تدري ما تفعله، تعلقت أنظار فرح ورهف بها وهي تسير نحوه وهو

يقف جامدًا لا يحرك ساكنًا، أمتار قليلة أصبحت تفصل بينهما وصديقتاها لا تعلمان ما هي الخطوة القادمة أو ماذا سيحدث؟

حلم تتقدم ببطء حيث يقف أدهم وكأن الوقت قد توقف بالجميع، لحظات من الترقب والدهشة تعلو الوجوه وأعينهما لا تزال معلقة ببعضهما البعض دون أي حديث..

حلم تتقدم.. أصبحت قريبة للغاية، أقرب من أى وقتٍ مضى، دقات قلبها تحدث ضجيجًا ظنت أن كل من حولها يسمعه، ارتجافة تسري بكامل جسدها تشعر بالبرودة تغزو يديها والعرق ينهمر من جبينها، هل تتقدم أم تتوقف؟

هي لا تملك من زمام أمرها شيئًا، وكما بدأ كل شيءٍ فجأة انتهي كل شيءٍ فجأة، حيث استدار أدهم قبل أن تصل إليه حلم بأمتار قليلة، استدار للخلف ليعود إلى مرسمه ويدخل في هدوء مغلقًا الباب من خلفه دون أن ينطق بكلمة واحدة،

تسمرت قدماها بمكانها دون حراك، ولم تشعر إلا بفرح ورهف وهما تمسكان بيديها قائلتين: هيا بنا لنرحل.

استدارت عائدة معهما ومازالت غائبة عن كل ما يربطها بالواقع، صور تتحرك أمام ناظريها، لين تلوح لها مودعة وصوتها الطفولي يخبرها أنها ستنتظرها، والكلب يتقافز من حولها، كيف ومتى وصلت إلى البيت؟ لا تعلم.. **كل ما تعلمه أنها أفاقت على صوت رهف وهي تسألها قائلة:** هل كنت تودين حقًا الحديث معه اليوم؟

ألم تخبرينا أنكِ غير مستعدة لذلك؟

حلم: إذًا لم يكن ذلك حلمًا أو خيالًا.. كان حقيقيًا.

رهف: نعم كان حقيقيًا، وقد كنا معكِ وشاهدنا ذلك بأم أعيننا.

حلم : سأذهب إلى مكتب والدي أود القراءة قليلًا لا تقلقا بشأني، سيكون كل شيءٍ بخير، أعقبت قولها بالتوجه إلى غرفة المكتب وإغلاقها من الداخل، نظرت حولها حيث مكتب والدها ومكتبة تحيط بالجدران من كل جانب بتنسيق مميز يجعلها تبدو كديكور جميل وراقي، منذ متى لم أدخل إلى هنا؟ حدثت نفسها بذلك وهي تقول.. هنا حيث مازالت رائحة أبي وحيث يأخذني إليه الحنين كلما تصفحت أحد كتبه، أخذت تتجول بعينيها بأرجاء الغرفة تبحث عن والدها بين أركان الجدران وعلى مقعده، عادت بذاكرتها إلى الوراء، فلاش باك.. أغمضت عينيها.. حياة كاملة كانت هنا، هنا ولدتُ وترعرعتُ، هنا شهدتُ وعشتُ طفولتي، هنا كان حبًا يملأ كل ركن من أركان المنزل، تذكرت حديث والدها عن نشأته وانتمائه إلى مدينة المنصورة تلك المدينة الجميلة الراقية، حدثها عن بيت مازالوا يملكونه هناك حيث كانوا يقضون به عطلة المدارس، بالرغم عنها سالت دمعات لم تشأ أن تمنع نزولها، وهل نسيتك يا أبي؟ وكيف أنساك وأنت بضعة مني وتسكنني؟ وكل يوم يأخذني إليك الحنين ويسافر، تذكرت والدتها وتلك المناوشات التي كانت تحدث بينهم بسبب تدليل والدها لها وقوله لها.. هل تغارين منها؟ ورد أمها.. وهل أغار عليك من قطعة مني؟

ترحمت عليهما وتنهدت بعمق قبل أن تجول بعينيها مرة أخرى وهي تبحث عن شيء لتقرأه، فالقراءة بالنسبة لها نهم، وهي فقط القادرة على إزالة التوتر من عقلها مع سماع القرآن الكريم وخاصة سورة يوسف، لا تدري لماذا تركت كل الأرفف التي عليها الكتب وقامت بفتح أدراج المكتب؟ بالبحث بين الأدراج وجدت الكثير من الأوراق وبعض الكتب، ولكن ما لفت نظرها تلك العلبة المغلقة والتي تخص عمتها والتي كانت تقيم معهم.

فتحت حلم العلبة كانت تحتوي على بعض عقود الملكية وبعض الأساور الذهبية، وعندما قامت بإخراج الأوراق وجدت تحت الأوراق أجندة سوداء ترددت قبل أن تفتحها، ولكنها حسمت أمرها وفتحتها، فهي الوحيدة التي تملك هذا الحق بعد رحيل الجميع.

كانت الأجندة تحتوي على مذكرات ويوميات عمتها الراحلة، فتحتها حلم لتقرأ ما كتبته عمتها، في أول صفحات كتبت عن نفسها وعن ذلك الحب في حياتها وكيف أنهما تعاهدا على الزواج عقب عودته من الخارج بعد إنهاء الدراسات العليا، وبعد مرور ست سنوات عاد.. ولكنه لم يعد وحيدًا، فقد عاد مع زوجته الأجنبية التي مكنته من الحصول على الجنسية، تحدثت عن مشاعرها وعن غضبها وعن حزنها وألمها وعن قرارها بعدم الزواج مهما حصل، تحدثت عن حياتها مع أخيها وزوجته ومدى حبها لهما وحبهما لها، هنا هي تذكر مولد حلم ومدى سعادة الجميع بذلك الضيف الجديد عليهم.

أخذت تقلب حلم صفحات المذكرات حتى وصلت إلى ذلك العنوان الذي كتبته الحادثة **وكتبت تقول:** قرر أخي عابر السفر إلى الحج وكان مقررًا ذهابنا جميعًا أنا وزوجته وابنته، وفعلًا كنا نستعد للسفر لولا حمى أصابت حلم بشدة، وكان قرار الأطباء عدم السفر مطلقًا لخطورة ذلك على حياتها، ولضيق الوقت كان يجب أن يظل معها أحد فطلبت منهما السفر وتركي مع حلم، حاولت والدتها أن تظل هي برفقتها وأسافر أنا مع أخي ولكني أصريت على البقاء، وذلك لأن السفر كان من أجل والدة حلم لإصابتها بمرض عضال وكان الأمل بأن تذهب إلى الحج للدعاء والتبرك بالأراضي المقدسة.

استغرقت حلم بالقراءة حتى وصلت إلى قول عمتها: سافر أخي وزوجته إلى الحج وكانا يطمئنان علينا يوميًا، حتى جاء ذلك اليوم الذي لا أنساه، ارتفعت حرارة حلم بطريقة يصعب تخيلها، حتى أن الطبيب لم يصدق مقياس الحرارة وطلب حجزها بالمستشفى، وهناك كانت حلم ترتعد وشبه غائبة عن الوعي، ولكنها تهذي و تردد اسم والدها ووالدتها وهي تقول.. لا تتركاني وحدي.. أحتاج إليكما.. لا تتركاني.. خذاني معكما، ظننت في بادئ الأمر أن الموضوع لا يتعدى هذيان طفلة واشتياقها لوالديها، ولكن في فجر هذا اليوم قامت حلم وهي في حالة من الهلع والفزع وتصرخ بشدة وهي تقول لقد ذهبا وتركاني، لماذا لم تأخذاني معكما؟ وفقدت بعدها كامل وعيها.

في صباح ذلك اليوم علمنا بحادث مأساوي كبير وقع في الحج.. مات على إثره الكثير من الحجاج من جميع البلدان وتم دفن الجميع هناك حسب وصيتهم.

ظلت حلم في غيبوبة استمرت لإسبوع قبل أن تتعافى وتعود إلى طبيعتها، ولكنها أصبحت انطوائية وتحب العزلة وتميل إلى الصمت، ظلت حلم تقرأ ما كتبته عمتها وهي تتحدث عنها وعن حبها لها، وكيف أنها أصبحت كل عالمها، وعن فرحتها بنجاحها بمراحل التعليم المختلفة، حتى أنهت دراستها الجامعية وتخرجت من كليتها بامتياز.. كلية الدراسات الإنسانية، وعن أمنيتها بأن تفرح بها وبزواجها.

بكت حلم كما لم تبكِ من قبل، ولا تدري على من تبكي.. أعلى والدها أم والدتها أم عمتها؟

ترحمت على الجميع ولم تكمل قراءة المذكرات لدخول رهف بعد استئذانها لتخبر حلم بالاستعداد للخروج، دقائق قليلة قبل أن يصبح الجميع بالخارج باتجاه الڤيلا وعند وصولهن كانت لين بانتظارهن في سيارة بها سائق، وعندما طلبن منها أن تنزل لتركب معهن أخبرهن السائق أنهن جميعًا سيتوجهن معه حسب أوامر الرائد أمجد، قبل أن يتساءلن عن ذلك.. كان الرائد أمجد على الهاتف يخبرهن أن يستجبن لكل ما يطلبه منهن السائق.

ذهب الجميع إلى الملاهي، كان المكان مزدحمًا برواده من الأطفال بصحبة عائلاتهم، وكان المرح والصخب هو الجو السائد في المكان، نزلت الفتيات من السيارة وذهب السائق لركنها

بعيدًا، أخذن يتجولن بالمكان ويلتقطن بعض الصور التذكارية بكل مكان، كانت لين في منتهى السعادة وهي تركب سيارات التصادم مع حلم ورهف وفرح وهن يصطدمن ببعضهن البعض بمرحٍ طفولي وعفوية، وعند تلك اللعبة التي تشبه فناجين القهوة وهيٍ تدور طلبت لين أن تركب.. وبالفعل ركب الجميع وكانت دومًا أعينهن معلقة بلين، دقائق وتوقفت اللعبة ونزل الجميع إلا لين التي رفضت النزول وأصرت أن تأخذ جولة أخرى، هنا قالت رهف وفرح أنهما تشعران بالدوار وستظلان بالإنتظار.

ركبت لين بلعبة و حلم بلعبة أخرى تفصلها لعبتين عن لين، وأخذت الفناجين تدور ببطء من ثم تسرع وتسرع حتى تصل لسرعتها القصوى، ومن ثَم تعاود البطء.. وأثناء بطئها شق صخب المكان صوت صراخ يأتي من اتجاه اللعبة، توجهت كل الأنظار نحو الصرخات ولم تكن سوى حلم تصرخ بهلع وفزع وهي تشير حيث كانت تجلس لين والتي لم تعد موجودة بمكانها، **وما أن توقفت اللعبة نهائيًا حتى توجه الجميع إلى حيث تجلس حلم بما فيهم السائق الذي صرخ قائلا:** أين البنت؟ أين ذهبت؟ لم تتحدث حلم ولكنها أشاحت ببصرها بعيدًا حيث كانت تشير بأصابعها إلى نقطة بعيدة حيث ذهبت أنظار الجميع، كانت اللعبة التى تستقلها لين فارغة،

و حلم شبه فاقدة للنطق.. فقط تنظر بعينيها وتشير بإصبعها ناحية أحد المخارج، حيث كان هناك رجل ضخم الجثة عريض المنكبين حاد الملامح تبدو ملامحه غير عربية تتقدمه فتاة في

الثلاثينات من عمرها، شقراء صارخة الجمال ذات شعر أحمر كستنائي، كان الرجل يحاول شق طريقه وسط الجموع بصعوبة بالغة، وبسرعة فائقة تحرك السائق الذي كان يرافق حلم ورفيقتيها بمهارة وبراعة منقطعة النظير متجاوزًا تلك الحشود، وفي نفس الوقت يستخدم جهاز إرسال صغير الحجم ويتحدث بنبرة حازمة وهو يخرج مسدسًا صغير الحجم دون أن يستخدمه وذلك لكثرة الأعداد المتواجدة بالمكان خاصة وإن أغلب المتواجدين من الأطفال الصغار.

تم تطويق المكان وإحكام السيطرة على جميع منافذ الدخول والخروج، عندما أحس الرجل بمحاصرته أمسك لين بقبضته اليسرى ورفعها عاليًا وهو يحمل مسدسه بيده اليمنى ملوحًا به باتجاه الحشود الهائلة بالمكان، مما أثار الهلع والفزع بالمكان والجميع يتدافعون وهم يحاولون الخروج من المكان، بوسط ذلك الجو المشحون بالخوف والترقب كان السائق بغرفة المراقبة يحاول تحديد مكان تواجد لين وتوجيه بعض الرجال باتجاه بعض المنافذ، وعندما حدد مكان لين والرجل وقد كان بممر طويل باتجاه أحد المخارج يعلوه بعض الألعاب الهوائية، بسرعة ومهارة تسلق أحد تلك الألعاب، وعندما أصبح فوق ذلك مباشرة قفز من علو شاهق مما أثار خوف الجميع، ولكنه كما يبدو كان مدربًا على ذلك، بهذه الأثناء كان الرجل الضخم يحاول شق طريقه وسط الحشود ملوحًا ومهددًا بسلاحه لمن يقف بطريقه، بسرعة ومهارة انقض السائق عليه، وقبل أن تلامس أقدامه الأرض

كان يركل يد الرجل بقوة بإحدى قدميه، مما جعله يفقد مسدسه، وفي نفس الوقت كانت قبضته تصطدم بأنفه ووجهه بقوة هائلة جعلت الرجل يترنح ويتمايل وهو يحاول عدم السقوط ومازالت لين بيده وهي تشير لحلم وتصرخ باكية.

حدث هذا بأجزاء من الثانية قبل أن يلتقطها السائق بيده وهو يحميها بجسده من السقوط، وضعها على الأرض وأشار لها أن تنطلق باتجاه حلم قبل أن يقف متأهبًا لقيام ذلك الضخم مرة أخرى، والذي ما إن وقع على الأرض حتى سال الدم من أنفه وفمه وكان باقي العناصر يحاصرونه من كل اتجاه.

هذا بدا وكأنه فيلم (**أكشن**) لم يستغرق سوى دقائق، وقبل أن يتوجه الرجال نحو الرجل لاعتقاله وبسرعةٍ خاطفة كان يتناول شيئًا صغيرًا من معصمه ويتناوله بفمه ليبتلعه، حاول الرجال إخراج ذلك الشيء من فمه ولكن كان قد سبق السيف العزل، ولم تمر لحظات إلا وكان الرجل يتلوى من الألم كالثعبان مع خروج ما يشبه اللعاب من فمه بغزارة وقد جحظت عيناه وتدلى لسانه من فمه قبل أن تهدأ حركته ويستقر جسده للأبد، توجهت حلم ورفيقتيها نحو لين وهن ينتفضن من الخوف، والقلق والرعب يبدوان على ملامحهن، كان السائق هو من يتعامل مع الموقف.. يوجه الجميع ويتخذ القرارات.

توجه إليهن بعد أن أمر الرجال بإخراج جثة الرجل وهو يشير إلى لين قائلًا: الحمد لله مازالت الأمور تحت السيطرة فلا تقلقن ستكون كل الأمور بخير.

رهف: من أنت؟ وهل لديك تفسير لكل ما حدث منذ قليل؟

عرف عن نفسه قائلًا: الملازم أشرف منصور والرائد أمجد سيوضح لكن كل شيء بالتفصيل.

فرح: هل تقصد أن كل هذا كان مدبرًا له وأنكم تعلمون بذلك؟

حلم: هل جعلتم منا طعمًا لهؤلاء القتلة؟ هل تدرك ماذا فعلتم بنا؟ كان يمكن أن تموت الطفلة، وكان من الممكن أن يفقد الكثيرون حياتهم.

الملازم أشرف: سأعيدكن الآن وستعلمن كل شيء بعد قليل، مرت الدقائق ثقيلة بالسيارة وكان الفتيات تتبادلن النظرات غير مدركات لما حدث وغير مصدقات أنهن مازالن على قيد الحياة، عندما وصلوا إلى الشارع الرئيسي كانت هناك سيارة سوداء تغادر المكان مسرعة وتكاد تصطدم بهم من شدة سرعتها، بل وربما احتكت بهم قبل أن تغادر مسرعة، حاول الملازم أشرف رؤية أرقامها ولكنها لم تكن تحمل أية لوحات معدنية، تحدث إلى أحد الرجال بالسيارة الأخرى وهو يعطيه أوصاف السيارة ويعرفه اتجاهها، كان الجميع قد وصلوا إلى الڤيلا والتي كانت بوابتها مفتوحة على مصراعيها، وما إن دخلوا إلى الحديقة حتى وجدوا الكلب ممددًا على أرضية الحديقة، توجه الجميع إلى داخل الڤيلا وللوهلة الأولى أدرك الجميع أن المكان قد تعرض للسطو، فكل شيء قد أصبح في غير مكانه وكأنما أصبحت الڤيلا رأسًا

على عقب، فالأثاث كله في غير مكانه، والغرف مفتوحة على مصاريعها،

قبل أن يفيق الجميع من الصدمة تناهى إلى مسامعهم صوت أنين مكتوم يأتي من مكان لا يستطيعون تحديد مصدره.

فرح: هل تسمعون ذلك الصوت؟

رهف: نعم أنا أسمعه، ولكن.. من أين يأتي؟

حلم: أعتقد من المطبخ أو المكتب ولكنه هنا بالدور الأرضي، وما إن أنهت كلماتها حتى انقسموا إلى قسمين، فتوجهت حلم وفرح إلى المطبخ بينما توجه الملازم أشرف ورهف إلى غرفة المكتب.

لحظات وصرخت فرح صرخة مكتومة تجمع على إثرها الجميع في المطبخ، فقد كانت السيدة فريدة والطباخ مقيدين بالحبال وعلى أفواههما شرائط لاصقة، انتزع الملازم أشرف الشريط اللاصق من على فم الطباخ بينما نزعت رهف

الشريط اللاصق من فم فريدة، والتي كانت أول كلمة تنطق بها وهي تصرخ أدهم .. أدهم.

كانوا يبحثون عنه، وكأنها قد ألقت بقنبلة عندما نطقت باسم أدهم، فهل هو بخير؟

كيف لم يخطر ببالهم أدهم وهم يجتازون الحديقة ويرون ريكسي ممدًا؟

حلم بلهفة وخوف وقلق: غرفة المرسم.. أعقبت قولها ذلك وهي تنطلق باتجاه الحديقة يتبعها الجميع، وما إن وصل الجميع

إلى الحديقة محاولين الوصول إلى المرسم حتى أخرج الملازم أشرف مسدسه وهو يطالبهم بأن يتبعونه من خلفه، تسلل بخفة نحو غرفة المرسم والجميع من خلفه، كان باب المرسم مغلقًا من الخارج، حاول الملازم أشرف دفع الباب دون جدوى فأشار لهم بأن يبتعدون قليلًا، وتوجه نحو الباب بكل قوته بكتفه ليفتح الباب على مصراعيه، صرخة حلم شقت سكون المكان وهي تتوجه نحو أدهم، والذي كان مسجيًا على الأرض وقد تورمت عيناه والدم يسيل من أنفه وفمه والكثير من الخدوش والكدمات تبدو ظاهرة على صدره ويديه، توجهت حلم نحوه.. وضعت رأسه بين يديها وهي تحاول جس نبضه أو سماع نبض قلبه، ودموعها تتساقط بصمت على وجهه، بنظرة واحدة للمكان أدرك الجميع أن ما حدث في الڤيلا قد حدث في المرسم وأكثر، فاللوحات شبه ممزقة والألوان مسكوبة على الأرض وكل الأدوات الخاصة بالرسم متناثرة بكل مكان،

حلم: فليطلب أحدكم سيارة الإسعاف بسرعة، من فضلكم.. أرجوكم تحركوا بسرعة.

فريدة القادمة من الخارج وقد سمعت ما قالته حلم: لا تقلقي يا ابنتي، الإسعاف في طريقها إلى هنا، سيكون بخير.

حلم: رجاءً فليذهب أحدكم إلى الڤيلا للاهتمام بلين، قالت هذا وهي تتوجه ببصرها إلى فرح والتي أومأت برأسها إيجابًا قبل أن تغادر.

من ثم قالت حلم بصوت خافت ملهوف: هلا أحضر أحدكم كوب ماء وبعض الكمادات والمطهرات؟

خرجت فريدة مسرعة لإحضار ما طلبته حلم، بينما انهمك الملازم أشرف بفحص المكان وجمع بعض الأشياء والتي قد تفيده فيما بعد في حل ذلك اللغز.

سمع الجميع صوت سيارة الإسعاف وهي قادمة، بينما انهمكت حلم في تضميد جراح أدهم وتنظيف الخدوش وإزالة الدم المتخثر على يديه قبل أن يأتي الطبيب المرافق لسيارة الإسعاف وهو يتفحص أدهم قائلًا: هل حركه أحد من مكانه؟ حلم: لم نحركه خوفًا من وجود أي كسور أو ما شابه، الطبيب : هذا أفضل، أعقب كلامه بتفحص أدهم فأخذ يقيس ضغطه ويتحسس نبضه ويحرك جسده، قبل أن يقول: لا داعي للقلق، هو بخير ولا داعي لنقله للمستشفى، طلب من معاونيه نقله إلى الڤيلا وهو يسأل إن كان هناك من يمكنه الاهتمام به وإعطاءه الأدوية ومباشرة علاجه؟

حلم: أنا يمكنني القيام بذلك، فعندي معلومات كافية بالتمريض.

الطبيب: حسنًا.. لقد أعطيته حقنة مسكنة للألم وعندما يفيق سيكون بخير.

غادر الجميع مع المسعفين وهم في طريقهم إلى الڤيلا، وعندما همت حلم بالخروج استوقفها المرسم وأخذت تتأمل في

أرجائه بتمعن، كان الجميع قد غادر عندما اقتربت رهف من حلم **وهي تقول بنبرة ودودة:** هيا بنا حبيبتي.. فلنخرجِ.

حلم: أستأذنكِ لحظات، أود أن أبقى قليلًا.. يمكنكِ أن تسبقيني إلى الأعلى.

خرجت رهف لتصبح حلم بمفردها في المرسم، كان المكان رغم الفوضى العارمة التي خلفها من اقتحموه ينم عن فنان حقيقي، اللوحات مازالت تحتفظ بروعتها رغم أنها ممزقة، كذلك الالوان تخطف الأبصار برونقها، حتى النوافذ موزعة بالمرسم بشكل يجعل الحديقة والنباتات واضحة المعالم لمن بالداخل، تنهدت تنهيدة عميقة وهي تتجول بناظريها بالمكان قبل أن تحسم قرارها بالخروج، أثناء مغادرتها وهي تقترب من الخروج لمحت بطرف عينيها حامل لوحات مغطى بقماش أبيض داكن، كان يقف بزاوية الغرفة منفردًا وكأنه بمعزل عن تلك الفوضى، لا تدري لماذا تملكها الفضول للاقتراب من ذلك الحامل بهدوء وحذر فى نفس الوقت، وعندما أصبحت بمواجهته مدت يديها لتشد القماش من عليه ولكن فجأة توقفت يديها، تشعر بتردد وحيرة، ماذا لو كان سرًا لا يحقُ لها أن تراه؟

ولكنه فنان يرسم اللوحات وبالتأكيد هي إحدى لوحاته.. هكذا حدثت نفسها.

لحظات من الكر والفر بينها وبين نفسها قبل أن تحسم أمرها وتشد القماش بسرعة وقوة ربما لتمنع نفسها من التراجع عن قرارها، لحظات كالدهر مرت عندما أصبحت بمواجهة اللوحة،

فهي لم تكن سوى صورة زيتية لها بالحجم الكبير والمجسم ثلاثي الأبعاد، شعرت بدوار وقشعريرة تسري بكامل جسدها وهي تتأمل صورتها وكأنها ترى نفسها بمرآة.

بذهول ودهشة وحيرة كانت تتملك كل قسماتها وتبدو واضحة على ملامحها، تترقب الصورة فى محاولة منها لاستيعاب ما تراه بعينيها، ولم تكن دهشتها وذهولها وحيرتها بسبب الصورة وحسب ولكن لأن الصورة كانت لها بنفس ملابسها وجلستها ونظرتها وهي بتلك الحافلة التي كانت تمر يوميًا من أمام الكوفى شوب. لحظات من الصمت والذهول وحلم تتأمل صورتها المجسمة بملامحها الرقيقة، ولكنها لاحظت أن عينيها تحملان الكثير من الحزن وربما الحيرة، مع بريق لا يخفى على من يشاهد تلك النظرات.

هذه ثالث مرة أناديكِ يا حلم.. أين ذهبتِ؟

كانت تلك عبارة فرح وهي تحمل لين بين يديها، انتفضت حلم وكأنها تعود من رحلة قد استغرقت آلاف السنوات الضوئية.

فرح: حقا إنه فنان مرهف الحس، تبدو صورتك رائعة يا حلم، وحقًا أتساءل كيف استطاع أن يرسمك وينقل ملامحك بتلك الحرفية والإتقان؟ لولا أنني أعلم أنكما لم تلتقيا يومًا لظننت أن ذلك قد استغرقه أيامًا وشهورًا لتخرج هذه الصورة بتلك الروعة والجمال.

لين ببراءة وعفوية: هذه صورتك يا أمي، رسمها أبي بمنزلنا الريفي على البحيرة.

فرح: هل رأيتِ يا حلم؟ لين تظن أنها صورة أمها قد رسمها أدهم بفرنسا، وذلك للتطابق بينكِ وبين والدتها رحمها الله واستطردت قائلة.. بالتأكيد عقلها الصغير لن يستوعب كل هذه الأحداث والمفاجآت التي بالكاد نستوعبها نحن، قالت هذا وهي تراقب لين من شباك المرسم بالداخل وهي تطارد الفراشات بالحديقة.

حلم وهي ما زالت تحدق بالصورة كالمسحورة: ولكنها على حق.

فرح: من تقصدين بذلك؟ لا أفهم.. هلا أوضحتِ لي ماذا تقصدين؟

حلم: الفتاة على حق، لين على حق فيما أخبرتنا به للتو.

فرح: بالله عليكِ.. هل أنتِ واعية لما ترددينه؟ وكيف تكون على حق؟ أنا وأنتِ بل والجميع يعلمون أن هذه صورتك أنتِ بالحافلة، حتى ملابسكِ هي نفسها.. ولا يخفى علينا أنه بالتأكيد قد رسمها بتلك الفترة التي كان يرافق فيها شقيقه الكاتب أحمد مجدي ليكتب ما يمليه عليه بالكوفي شوب، أليس هذا صحيحًا؟ بل إنه الشيء الوحيد المنطقي بكل ما ممرنا به، وتأتي أنتِ لتؤَمني على كلمات طفلة بالرابعة من عمرها لا تدرك شيئًا مما يحدث حولها، بل وتظنكِ أنتِ والدتها.. يا لك من ساذجة يا حلم!

أعقبت عباراتها التهكمية بابتسامة واضحة على شفتيها وهي تهم بالمغادرة، لولا إشارة من حلم بأناملها إلى الصورة دون أن تنطق ببنت شفه، ذهبت فرح بعينيها إلى حيث تشير حلم بزاوية

اللوحة من الأسفل حيث يوقع الفنانون على لوحاتهم بأسمائهم أو حروفهم الأولى، اقتربت أكثر وأكثر حتى كادت تلتصق بحامل الصورة وهي تفرك عينيها غير مصدقة لما تراه، فبأسفل اللوحة كان أدهم موقعًا بأحرفه الأولى.

ممهورًا بتاريخ يسبق حضوره إلى القاهرة بشهور، أي قبل وقوع الحادث بفترة كبيرة، مما يؤكد أنه قد رسمها في فرنسا وقبل حضوره إلى القاهرة.

لحظات مرت أو ربما دقائق قد مرت عليهما وهما تحدقان في اللوحة، قبل أن يقطع صمتهما صوت فريدة وهي تخبرهما أن الرائد أمجد بانتظارهما ومعه الملازم أشرف أو السائق كما تعرفا عليه لأول مرة، **أومأت حلم برأسها إيجابًا وهي تقول:** سنتبعك فورًا.

خرجت فرح لإحضار لين وتوجه ثلاثتهم إلى الڤيلا حيث كان الجميع متواجدين وكأنه اجتماع يضم الجميع.

الرائد أمجد: أولًا أعتذر وبشدة عما أصابكن اليوم من خوف وتوتر، ولكن أريدكن أن تعلمن أننا ما كنا لنسمح بأن يصيبكن أي مكروه وأن كل شيء كان تحت السيطرة ومرتب له.

رهف: كيف هذا وقد تم اختطاف لين وكانت الأسلحة بكل مكان؟ وكان من الممكن بل ومن المؤكد أن تموت أي منا اليوم، وقد مات فعلًا أحدهم.

الرائد أمجد: لم يكن ليصيبكن أي مكروه ومعكن أمهر ملازم بالجهاز، ومتأكد أنه قد أبرز بعض مواهبه المتعددة ناهيكن

عن أن ما حدث هو الوسيلة الوحيدة لالتقاط خيط يصلنا بتلك الشبكة الجاسوسية، وحتى نعلم ما هو ذلك الشيء الذي يستحق تلك المجازفة من قِبلهم.. **أتبع ذلك بقوله:** أما ذلك الرجل الذي مات في الملاهي فهو أيرلندي دخل إلى مصر بغرض السياحة مع فوج سياحي كغطاء لمهمته هنا في مصر، وقد تم كشفه من قِبلنا وكان تحت أعيننا منذ دخوله، أما موته فقد كان برغبته فقد تناول (**سينايد البوتاسيوم**) وهو سمٌ شديد الخطورة ولا يستغرق سوى لحظات لقتل رجل بالغ، وذلك يوحي بأنه يخشى الوقوع بين أيدينا حتى لا نعلم عن تلك المهمة.

حلم: وهل هناك شيء يستحق أن ينهي إنسان حياته بيديه؟ لماذا أصبح العالم بتلك القسوة والسوء؟ ألا يسعنا العالم لنعيش سويا دون أن يؤذي أحدنا الآخر؟ لماذا.. لماذا كل هذا القتل والدمار؟.. لماذا؟

الرائد أمجد: للأسف هناك من يستفيد من نشر الفوضى وإشاعة القتل والدمار بكل بقاع العالم، وهذا دومًا دأبهم (**فرق.. تسد**) أعقب قوله بتنهيدة عميقة وهو يقول.. نعلم بما يخططون له ونحاول قدر جهدنا تلافي آثاره المدمرة على بلداننا، ولكنهم لا يستسلمون، للأسف بعض الدول الكبرى بحكوماتها قد أصبحت مافيا كبرى لتصنيع السلاح والتجارة بكل أنواع أسلحة الدمار الشامل، ولا يكتفون بذلك بل أنهم يصنعون بؤرًا للصراع بكل مناطق العالم لتجربة ما يصنعونه من آلات القتل والتدمير وجنى الأرباح، ويظل دومًا الشرق الأوسط وأفريقيا ملعبهم الرئيسي.

رهف: صدقت وليس ببعيد عنا ما فعلوه بالعراق والصومال وما يفعلونه الآن باليمن وليبيا وسوريا بحجة الحرب ضد الإرهاب، وما الإرهاب سوى صنيعة أيديهم.

الملازم أشرف: كل هذا يحدث بمرأى من العالم ومسمع دون أن يحرك أحد ساكنًا.

فرح: ولكن هل علينا أن نضع اللوم عليهم هم فقط؟ ألا نشاركهم نحن المسئولية بضعفنا وتخاذلنا وتشرذمنا وتفرقنا؟ ألا يتوحد الجميع من حولنا ونحن نختلف على كل شيء ولا نتفق على أي شيء؟ ألم يكن الشيء الوحيد الذي اتفقنا عليه هو ألا نتفق؟ ألم تضيع فلسطين من بين أيدينا بسبب فرقتنا؟ ألسنا نحن سبب ما نحن فيه؟

أومأ الجميع برؤوسهم أرضًا خجلًا وهم يرددون نعم نحن السبب.. نحن السبب.

الرائد أمجد: أتمنى أن ندرك جميعًا أن قوتنا في وحدتنا، ولكن بالعودة لقضيتنا فما يقلقني حقًا ليس كل ما حدث.. ولكن ما أخشى أن يحدث، هنا اتجهت أعين الجميع صوبه فقد نجح في أن يستحوذ على كامل وعيهم **وهو يقول:** ربما لاحظتن تلك المرأة التي كانت برفقة الإيرلندي الذي مات.

حلم: نعم تلك المرأة الأوروبية ذات الشعر الأحمر الكستنائي.

الرائد أمجد: سيخبرنا الملازم أشرف عنها فهو أكثر من يعرفها، فقد تعامل معها عن قرب في إحدى مهماته الخارجية.

هنا توجهت الأعين كلها صوب الملازم أشرف الذى اعتدل بجلسته وهو يتنهد قائلًا: هي من أخطر عملاء الموساد، ذات أصول روسية لأبوين يهوديين، انتقلت مع أسرتها لإسرائيل كمهاجرين، والدها ينتمي إلى حزب يميني متطرف يعادي كل ما هو عربي، وقد تشربت كراهية العرب من والديها ونشأت وترعرعت على فكرة أن اليهود هم شعب الله المختار وما عداهم لا يعدون سوى عبيدًا لليهود، وقد انضمت ببدايتها إلى منظمة صهيونية تسمى (**سكوربيون العقرب**) وكانت تنفذ عمليات قتل واغتيال لأهداف عربية بفلسطين أولًا، ثم أوروبا وأمريكا بعد انضمامها إلى الموساد، تلك العميلة هي باتيا أوري وترجمتها من العبرية إلى العربية «**بنت الرب**».

رهف: تُرى ما الذي يجعلهم يحاولون قتل أدهم وزوجته؟ بل ويحضرون خلفهما إلى هنا ومن ثم يحاولون خطف وقلب المنزل رأسًا على عقب.

الملازم أشرف: بالتأكيد هو شيء هام وبالغ الخطورة وإلا ما أرسلوا إحدى أهم عملائِهم لهذه المهمة، بهذه اللحظة أتت فريدة لتخبر حلم بأن الطبيب يريدها بالأعلى بغرفة أدهم.

استأذنت حلم بالمغادرة وهنا وقف الرائد أمجد ليستأذن بالانصراف وهو يقول: عودة الذاكرة لأدهم ستساعدنا كثيرًا، كذلك نحن نضع باتيا تحت أعيننا، والثيلا مؤَمنة بالكامل، فلا داعي للذعر أو القلق، قال هذا وهو يغادر المكان بعد أن همس إلى الملازم أشرف بكلمات لم يسمعها أحد غيرهما، ابتسم على

إثرها الملازم أشرف وقد بدا الخجل على محياه وهو يلقي بنظرة جانبية على رهف والتي كانت بدورها تتابعه وهو يغادر المكان.

صعدت حلم إلى الأعلى ليستقبلها الطبيب بابتسامة ودودة وهو يقول: يبدو أن اللكمات التي تعرض لها أدهم كانت قاسية وقوية لتفقده الوعي، وربما تتسبب له بغيبوبة مؤقتة، لا أعتقد أنها ستطول، ولكنه بلا شك سيحتاج إلى عناية فائقة وجهد مضاعف، فهل ستستطيعين ذلك؟

حلم: لا تقلق يا دكتور.. سأكون دومًا بجانبه ولن أتركه لحظة واحدة.. فلتطمئن، ابتسم الطبيب وهو يوضح لها مواعيد الأدوية والمحاليل وقد وضع (**كلُنة**) بيده ليأخذ من خلالها الحقن بسهولة ويسر، غادر الطبيب مودعًا وهو يتمنى لها حظًا طيبًا.. مشددًا بالوقت ذاته على الرعاية الكاملة.

ابتسمت حلم وهي تتأمل أدهم النائم على فراشه مستسلمًا، غير مدرك لما يدور من حوله، وصوت أنفاسه وصدره يعلو ويهبط، وهم يعلنون بقاءه على قيد الحياة.

تأملت الغرفة من حولها، كانت تحتوي على سرير كبير ومكتبة صغيرة، وثلاثة كراسي مريحة، وثلاجة صغيرة وتلفازًا ومذياعًا يبدو أنه أثري منذ نشأة الإذاعة، فهو يشبه التحفة بمظهره العام، بالإضافة إلى مائدة صغيرة، وكان هناك شباك يطل على الحديقة من الناحية الخلفية، جلست حلم على كرسي بجوار النافذه تتأمل السماء الشاسعة وتلك النباتات والأزهار بالحديقة، بينما ذهنها

بعالم آخر يحملها بعيدًا جدًا عن المكان متسائلة.. تُرى هل كانت تتوقع يومًا أن تكون بهذا المكان؟ وأي قدر قد ألقى بها هنا؟

نظرت ناحية أدهم وهي تتنهد قائلة: لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا.، يااا رب ...

سمعت طرقات خفيفة على الباب، وعندما فتحت وجدت فرح.. والتي همست بأذنها

قائلة: لا أدري ماذا أفعل مع لين؟ فهي لا تنفك تسأل عن دميتها ولا أدري أين هي؟ وقد أحضرت لها الكثير من الدمى والعرائس، ولكنها تريد دميتها الخاصة بها، يبدو أنه هدية أدهم لها بعيد مولدها.

حلم وكأنها تذكرت شيئًا للتو: لا أدري.. ولكن أعتقد أنني أثناء تواجدي بالمرسم قد لمحت دمية على هيئة دُب، ربما يكون هو ما تبحث عنه لين، **ابتسمت فرح قائلة:** أتمنى ذلك يا صديقتي فأنا أيضا مثلكما أهوى اللعب مع الدمي، وحتى تستعيد دميتها سأكون مضطرة لمشاركتها اللعب بدميتكِ (**مشمش**) صديقكِ المقرب، قالت هذا وهي تبتسم وكأنها تغيظ حلم قبل ان تغادر وتغلق الباب.. لتتوجه حلم إلى المكتبة وتتناول كتابًا وتجلس بالقرب من أدهم وهي تتأمله غير مصدقة أن ذات الزمان والمكان قد جمعا بينهما، وأنهما يتنفسان نفس الهواء.

عرق غزير كان على جبهته، اقتربت منه وبمنديل من القطن مسحت على جبينه، ولوهلة شعرت بأنها تسمع نبض قلبه، أغمضت عينيها.. وكم تمنت لحظتها لو أنها تقترب منه وتضع يدها على

قلبه وتهمس بأذنه أنها تنتظره، كم ودت لو تتحدث معه، فقط لتخبره عن أحلامها وعالمها الذي لا يعرفه ولا يشعر به أحد، عالمها الذي تمنت أن يشاركها هو فيه وحده دون غيره، وأنه هو من حلمت به وأحبته وعشقته دون أن تراه، كم ودت لو حدثته عن والديها، عن اشتياقها لأمها وحنينها لأبيها «آهٍ ثم آهٍ لو يعلمون كم أعاني بصمت، فما تراه العين يأبى أن يصدقه القلب، وما يبصره القلب يعجز عن إدراكه العقل، وما بينهما مسافة من التيه وضجيج لا ينتهي.. هم يظنون أن عدم حديثي عنهما وصمتي أنني قد نسيت، ولكن كيف أنسى؟ هيهات أن أنسى، وهل ينسى الإنسان عالمه وتفاصيل حياته التى عاشها بحب؟..

كم أفتقد لذلك الشعور بالأمان والاحتواء، الله وحده يعلم كم أعاني بصمت».

تململ أدهم في فراشه وهو يفتح عينيه ليجد حلم نائمة على كرسي مواجه لفراشه، أمامها بعض الكمادات والأدوية التي كانت تعطيها له أثناء غيابه عن الوعي، دقائق مرت عليه وهو يتأملها في هدوء، تناول ورقة من جانبه وقلمًا من الرصاص، وأخذ يرسمها وهو يتأمل ملامحها الهادئة، عندما استيقظت حلم وجدت أدهم أمامها يتأملها وهنا التقت عيناها بعينيه.

أدهم: كنتُ أعلم بأنك موجودة، بحثت عنكِ كثيرًا ولم أشك لحظة واحدة بأنكِ موجودة أو بأنني سأجدك، بحثت عنكِ بكل مكان هنا.. حتى أخذتني روحي إلى الجهة الأخرى من العالم،

حيث أخذتني خُطايا بعيدًا جدًا جدًا.. إلى فرنسا في رحلة البحث عن روحي.

حلم محدثة نفسها : تُرى.. هل هذا حقيقي حقًا؟ هل عاد لوعيه؟ هل يراني وينظر إليَ؟ أم تُراه أحد أحلامي المتكررة؟ هل أنا مستيقظة أم مازلت نائمة؟ كم أتمنى لو كان حلمًا أن يطول ولا ينتهي.

نظرت إليه والتقت أعينهما، أحست وكأنها غير مقيدة بمكان أو زمان، فقط عيناه تحولتا إلى عالم مستقل بذاته، عالم يشبه تلك الأحلام التي كانت ومازالت تراودها منذ أن أدركت أنها مختلفة، وأنها لا تريد حياة كالتي يحياها الكثيرون مضطرين وكأنها قد فرضت عليهم، قطع حبل أفكارها صوت أدهم الذي مال إلى الوراء دون أن يشيح عنها بعينيه **وهو يقول بصوته العميق وكأنه أيضًا يأتي من أرض الأحلام:** منذ طفولتي عشقت الطبيعة والأماكن الواسعة، لم تكن تستهويني ألعاب الأطفال التقليدية، ولم أكن ممن تستهويهم ألعاب الكرة، كنتُ بنظر الجميع مختلفًا.. أراقب تفتح الزهور وموسم تكاثر الفراشات، كنت أهوى ملاحقة العصافير، كنت دومًا أحمل معي أوراقًا وقلمًا لأنقل ذلك العالم إلى أوراقي، عشقت الرسم وتمنيت لو أصبح رسامًا عالميًا كمايكل أنجلو ودافنشي.

أخذ نفسًا عميقًا وهو يكمل: أول مرة رأيتك بغفوة لي في حديقة.. رأيتك تطاردين الفراشات وتتحدثين مع العصافير، وعندما انتبهت لم أدرك وقتها أكان حلمًا أم واقعًا؟ استحوذت

صورتك على مخيلتي ولم تغادرني أبدًا، شعرت وكأنكِ تسكنين روحي.. ذات يوم أو ربما ذات حلم رأيتك تسيرين وحيدة على شاطئ البحر وقت الغروب، ظننتها فرصة سانحة لأقترب، ناديتُ وناديتُ ولا مجيب.. تسارعت خطواتي عساني ألحق بكِ، ولكن بلا جدوى، كلما اقتربت منكِ ابتعدتي أكثر، وقتها أدركت أن روحي أو ربما روحكِ أو ربما روحانا أصبحتا أسيرتان تبحثان عن اللقاء.. كنت أنتظر موعد نومي وأُعد طقوس اللقاء لنلتقي، وأصبحت رؤيتك بالنسبة إليَ حلمًا وأمنيةً دعوت الله أن تتحقق، منذ ذلك الحين لم أعد أرسم غيرك، حتى ظن من حولي أنني مجنون وهم يسألونني عن صاحبة الصور، ولا إجابة لدي سوى صمت لم يفهمه من حولي، حتى جاء ذلك اليوم الذي رأيتك فيه على غير العادة بمكان صاخب تتلألأ به الأضواء، لم يكن حديقةً أو بحرًا ولكنه مكان لا يخطئه أحد، رأيتك تجلسين بالقرب من برج (**إيڤل**) وهناك من يرسمك، لم أر من يرسمك.. وهل كنتُ أنا أم أحد غيري؟ فمجرد ظهورك كان يطغى على كل من سواه، أدركت وقتها أو هكذا ظننت أنني أبحث في المكان الخطأ، وأنكِ هناك حيث الفراشات والعصافير وحيث الحرية، تلك الحرية التي نفتقدها هنا.

كان هذا كفيلًا بتغيير مسار حياتي، وخطط والدي الذي كان يحلم بأن أكون مثله محاميًا بارعًا ليظل اسمه بساحات المحاكم، ولكن هيهات فقد كنت كالأسير الذي يتبع روحه، ألححت على والدي لأكمل تعليمي في فرنسا لأبحث عنكِ.. أو لأبحث عني

ليستريح قلبي المنهك من عناء الانتظار، مر عامان ، فلا أجدك ولا توقفت الأحلام.

حلم: يبدو أنني سببت لكّ الكثير من الألم فسامحني.

أدهم: أنا من كنت أبحث عنكِ لأكتمل بكِ فلا تلومي نفسك.

حلم: وكيف التقيت بزوجتك رين؟

أدهم مبتسمًا: ذات يوم ذهبت مع الكلاية إلى الريف الفرنسي لنرسم من الطبيعة ويكون مشروع التخرج، وهناك التقينا أو هذا ما ظننته وقتها، فقد التقيت برين.

هنا دخلت لين وببراءة ذهبت إلى حلم وجلست بين يديها وهي تلتصق بها، ابتسم أدهم للين وهو يطلب منها الاقتراب محاولًا النهوض لاحتضانها وتقبيلها بحب واشتياق.

حلم: لقد عادت لك ذاكرتك واستعادت ما سقط منها من أحداث؟

أدهم: عندما هاجمني أولئِك الرجال حاولت مقاومتهم بشدة فقد كان يبدو عليهم الإصرار على قتلي، وأثناء ذلك ضربني أحدهم على مؤخرة رأسي بمقبض مسدسه بقوة ففقدت الوعي، وعندما كنت أتهاوى مرت حياتي أمام عينيَ وكأنها شريط سينمائي، طفولتي، دراستي.. أحلامي ورؤاي، سفري إلى فرنسا ولقائي برين، وذلك الحادث المدبر لاغتيالي، وموت رين..

هنا سالت دموعه وهو يقول: لم يكن لها ذنب.. كنتُ أنا المقصود بذلك ولكنها هي من ماتت، حتى حادثة الحافلة والتي مات فيها شقيقي أحمد عليه رحمة الله، وبعد ذلك لم أعي أي

شيء، حتى وجدتك الآن هنا تجلسين أمامي، وأنا من ذهبت إلى آخر العالم بحثًا عنكِ ولم أجدكِ.

حلم: ولكنك وجدت رين زوجتك ووالدة ابنتك أليس كذلك؟

أدهم: وهذا ما ظننته بأول الأمر عندما التقيت رين، ولكن منذ الأيام الأولى أدركت أن رين تحمل فقط ملامحكِ بينما أنا كنت أبحث عن روحكِ، وقتها تأكدت أن رين ليستَ هي من كنت أبحث عنها.

حلم: ولِمَ ارتبطت بها إذًا إن كنت أدركت أنها ليست من تبحث عنها؟

أدهم: ربما تعبت أو شككت للحظة أنكِ موجودة، وربما خفت أن أفقدها فأفقد إيماني ويقيني، ويصبح كل ما بذلته من جهد هباءً منثورًا.

حلم: وماذا حدث بعد ذلك؟

أدهم: منذ تزوجت برين وهناك حلم ظل يطاردني ويتكرر دون أي تغيير.

حلم: وما هو ذلك الحلم؟

أدهم: ذلك الحلم كان يتكرر بدقة دون أي تغيير، كنت أراني بمكان عالٍ أنظر لكِ من خلف زجاج وأنت تجلسين بحافلة تتوقف لدقائق قبل أن تغادر دون أن أستطيع فعل أي شيء، ظننته حلمًا عابرًا سوف يتغير ولكن هذا لم يحدث، فقد أصبح يتكرر كل يوم.. حتى قررت أن أرسم ذلك الحلم بكل تفاصيله، طوال

شهور بل لسنوات أربع هي عمر لين كنت أرسم ذلك الحلم، ولكنها ظلت دومًا صورة ناقصة.. شيء ما كان يجعلني لا أستطيع انهاءها.

أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يقول بأسى: ربما تجدينها بالمرسم إن كان قد نجا من عدوان أولئِك الرجال الذين هاجموني.

حلم بخجل وعلى استحياء: نعم قد رأيتها.. وكم أصابتني بالدهشة والحيرة، بل أن كل ما تقوله يصيبني بالحيرة حقًا، فما تقوله أنت يبدو كقصة نصفها عندك ونصفها الآخر عندي.

أدهم: ذات يوم كنت أؤمن بالحظ، حتى أدركت أنه لم يكن حظًا ولكنه قدرًا.

حلم بتردد وخجل: أنا أيضًا كنت أبحث عنك ، كنت أراك وأسمعك حتى ظن بي من حولي الجنون، كنت أتحدث معك، أشعر بأنفاسك.. أغمض عينيَ وأستحضرك.. كنت أنتظرك، نعم كنت أنتظرك.. نعم كنت أنتظرك.

قالت ذلك وأطرقت خجلًا حتى توردت وجنتاها بحمرة الخجل.

أدهم: حدث كل هذا دون أن نلتقي.. فماذا لو التقينا؟

حلم تردد ما قاله بلا وعي: حقًا.. ماذا لو التقينا؟ بتمعن ورقة.. كنت أثق أننا سنلتقي، حتمًا سنلتقي.

أدهم وهو يتأمل حلم: فما اجتمعت أرواحنا عبثًا ومن جمع بين أرواحنا وقلوبنا لقادر على جمعنا، أتمنى ذلك.

حلم بخجل وقد أشاحت بنظرها نحو النافذة: ربما.

أدهم: ألم تسافري إلى فرنسا مطلقًا؟

حلم: لم أغادر مصر إلا مرة واحدة وقد كانت بعمرة لوالديَ وأنا صغيرة قبل رحلتهما الأخيرة، وكم أشتاق حقًا إلى مكة والكعبة، وكم تمنيت التعلق بأستار الكعبة والدعاء لوالديَ هناك عسى الله يجمعنا بمستقر رحمته.

أدهم: وهل تفكرين بالإقامة خارج مصر؟

حلم: لا حياة لي بعيدًا عن هنا، وكم دعوت الله عندما تحين نهايتي باليوم الذي سأغادر فيه أن تكون هنا.

أدهم: ولكن أعتقد أنكِ لا تمانعين بعض الرحلات إلى الخارج وبعدها تعودين هنا.

حلم بابتسامة خفيفة: كان أبي قد وعدني يومًا برحلة إلى تركيا، ولا أمانع الذهاب إلى (**دريم بارك**) بشرط أن تكون لين معي بعد انتهاء هذا الكابوس.

أدهم بصوت خفيض: سأحقق كل أمنياتك واستطرد قائلًا بخجل: عفوًا.. ستحقق كل أمنياتكِ بإذن الله.

ما أن انتهى من عبارته حتى سمعا طرقات خفيفة على الباب، تدخل على إثرها فريدة والتي ما أن وجدت أدهم قد استعاد وعيه حتى خرت لله ساجدة وهي تحمد الله.

ابتسم لها أدهم بامتنان، وبدورها أطلقت زغرودة مدوية شقت صمت القيلا، وما هي إلا ثوانٍ حتي كان الجميع بغرفة أدهم فقد حضرت فرح ورهف لثوانٍ قليلة، كان الحرج هو المسيطر على الجميع فقد كانت هذه هي المرة الأولى التي يلتقي فيها الجميع وجهًا لوجه.

تبرعت فريدة بالقيام بمهمة التعريف ببعضهم البعض، تبادل الجميع الابتسامات بعد تهنئة رهف وفرح لأدهم على عودته للوعي.

«**الأستاذ أدهم لم يفق فقط بل هو قد استعاد ذاكرته كاملة**» حلم وهي توجه حديثها للجميع.

رهف بحماس وتفاؤل: عظيم.. علينا أن نخبر الملازم أشرف بذلك، **ولكنها عادت وبخجل لتقول:** أقصد فليخبر أحدنا الرائد أمجد بذلك، وكان مبعث شعورها بالخجل أن الجميع قد لاحظ اهتمام الملازم أشرف برهف على الخصوص، ونظرات الإعجاب المتبادلة فيما بينهما.

فرح: فلنخبر الرائد أمجد بالأمر وهو بدوره سيخبر الملازم أشرف والذي سيحضر على وجه السرعة كالمعتاد، قالت هذا وهي تتطلع إلى رهف بابتسامة ذات مغزى، فلم تتمالك رهف نفسها من الخجل فغادرت مسرعة.

فريدة: سأتصل أنا بالرائد أمجد قالت هذا وهي تغادر مسرعة إلى الخارج.

حلم: سأتصل بالطبيب فقد كان متوقعًا لعودة أستاذ أدهم إلى وعيه بأي وقت

وطلب مني إبلاغه بذلك فور حدوثه.

يحضر الطبيب ويتقدم نحو أدهم مبتسمًا وهو يقول: كنت أعلم أنك ستعود سريعًا، فمثلك لا يستسلم بسهولة.

أدهم: الحمد لله على كل حال.

الطبيب وهو يعاين نبضه ويقيس الضغط ويكشف على عينيه: لا تقلق، ستكون الأمور بخير.. فقط بعض الرضوض والكدمات ستزول مع الوقت، ولكن عليك بالتريض والتواجد بالأماكن المفتوحة وستتعافى سريعًا، سأكتب له بعض المسكنات، ثم غادر وهو يتمنى له الشفاء العاجل على موعد بينهما بعد أيام.

فريدة: لقد حضر الرائد أمجد بصحبة الملازم أشرف، فهل ستستطيع النزول أم أخبرهما ليصعدا هما إلى هنا؟

أدهم: الغرفة هنا صغيرة وغير مهيأة لاستقبالهما، سأنهض أنا وستساعدينني بالنزول، اقتربت منه فريدة وتحامل على نفسه وهو يستند علي كتفيها قليلًا حتى نزل درجات السلم إلى أسفل، بابتسامة خفيفة استقبل أدهم الجميع.

الرائد أمجد: حمدًا لله على سلامتك يا بطل.

الملازم أشرف: أقلقتنا عليك.. ولكن ثق أننا لن نتنازل عن حقك وحق زوجتك وسيدفعون الثمن قريبًا جدًا.

أدهم: شكرًا لكم ولمشاعركم النبيلة، **وصمت قليلًا قبل أن يستطرد قائلًا:** هناك الكثير والكثير أعتقد أنه قد يساعدكم بعملكم.

الرائد أمجد: كنت أود أن أخبرك بأشياء جيدة ولكن للأسف ما أحمله الآن من أخبار هو أمر مؤسف، قال هذا بنبرة تحمل الكثير من الحزن والألم مما جعل أعين الجميع تتعلق به وهو يتحدث بجدية بالغة.

أدهم: وهل هناك ما هو أسوأ من موت زوجتي بسببي وفقدي لأخي؟ زوجتي التي لم تكن معنية بالأمر، وإنما أنا كنت المقصود بتلك الحادثة، كانوا يريدونني أنا وليس هي.

الرائد أمجد: هون عليك، كل إنسان له وقت محدد لا يتأخر أو يتقدم، فالأعمار بيد الله.

أدهم: هات ما عندك ولا تقلق، فما عاد هناك شيء يخيفني، وسأواجه هؤلاء القتلة ولن ينالوا ما يبحثون عنه ما دمت على قيد الحياة، **قال هذا وهو ينظر إلى حلم والتي بدورها أطلقت تنهيدة وهي تقول:** ستكون الأمور بخير.

الرائد أمجد: تذكرون جميعًا حادث الحافلة الذي راح ضحيته الأستاذ أحمد مجدي رحمه الله.

أدهم: وكيف أنسى ذلك اليوم الذي فقدت فيه أخي وصديقي وسندي بالحياة؟ الحسنة الوحيدة لفقداني للذاكرة هي هروبي من ذكرياتي وحياتي السابقة، ولكن هيهات.. فقد كانت تطاردني كأطياف راحلة وومضات عابرة.

حلم: وأنا كنت بتلك الحافلة في نفس يوم الحادث، وكانت إرادة الله أن أنجو في ذلك اليوم.

أدهم بلهفه وحب: الحمد لله الحمد لله، جعلها ذلك تشعر بالخجل فتوارت خجلًا خلف فرح و رهف..

الرائد أمجد: ظن الجميع وقتها أن الحادث كان قضاءً وقدرًا.

رهف: أولم يكن قضاءً وقدرًا؟ هل تقصد أنه كان مدبرًا؟

الملازم أشرف وهو ينظر باتجاه رهف: كان هذا مبدئيًا.. ولكن مارست جهات البحث الجنائي والمعمل الجنائي ورجال الطب الشرعي عملهم، وكانت التقارير مفاجأة للجميع، كان هذا كفيلًا بأن يحبس الجميع أنفاسهم بينما أعينهم وآذانهم قد أصبحت أسيرة لما ينطق به الملازم أشرف

فرح:وبعد؟ ماذا ثبت؟

الرائد أمجد: تأكدنا بالأدلة القاطعة أن هناك من تلاعب بمكابح الحافلة وتصفية زيت المكابح، مما جعل السائق لا يستطيع التحكم بالحافلة وإيقافها عند الإشارة الحمراء، وهذا أدى لاصطدامه بالسيارة.

أدهم: هل تريد أن تقول أن أخي أحمد مات أيضًا بسببي وأنني أنا المقصود بذلك؟

وضح التأثر الشديد على الجميع وقد بلغ الحزن مداه بأدهم الذي وضع ذقنه بين يديه وقد سالت دموعه من عينيه على خده بغزارة.

رهف بتلعثم: عفوًا ولكن لا يبدو هذا منطقيًا، فهناك حلقة مفقودة بالأمر، **قالت هذا وهي تنظر إلى الملازم أشرف والذي لم يمهلها لتكمل عبارتها وهو يقول بثقة:** تريدين القول أنهم عندما تلاعبوا بالمكابح الخاصة بالحافلة لم يكن الكاتب أحمد مجدي رحمه الله بداخلها ولا الأستاذ أدهم؟

هنا حدثت جلبة بالمكان وهمهماتٍ من الجميع وهم يقولون حقًا كيف يكون المقصود بذلك الأستاذ أدهم و هو لا يستقل الحافلة؟

الرائد أمجد: لو أمهلتموني فقط دقائق كنت سأخبركم أن تخريب المكابح كان لإثارة الرعب عند اصطدام الحافلة بالسيارات القادمة من الجهة المقابلة، والتأكد من توقفها وانقلابها بهذا المكان المواجه للكوفي شوب بالتحديد، أما اغتيال الأستاذ أدهم فقد كان مدبرًا بقنبلة شديدة الانفجار مثبتة أسفل مقعد السائق، وكان مقدرًا تفجيرها عن بُعد عند حدوث الاصطدام وتوقف الحافلة أمام الكوفي شوب.

فرح بلهفة: وهل انفجرت القنبلة كما كان محددًا لها؟

الملازم أشرف: نحمد الله أنه لسببٍ ما لم تنفجر القنبلة، ربما لعطل بالدارة الإلكترونية المتصلة بجهاز التفجير، وهذا من فضل الله وتدبيره لأنها لو انفجرت لا قدر الله كانت ستكون مأساة بكل المقاييس، بل كانت ستكون مذبحة لأن مداها كان سيتجاوز ألف متر مربع، وهذه مساحة ليست بالصغيرة.

حلم وقد شعرت بدوار وعدم قدرة على التنفس اقتربتا منها رهف و فرح وربتا على كتفيها.

الرائد أمجد: عند جمع حطام الحافلة وتحديد سبب الحادث اكتشف الخبراء التلاعب بالمكابح وتواجد القنبلة بأسفل مقعد السائق، وهنا كان يجب أن نتدخل كجهاز مخابرات لأن تلك القنبلة تحمل بصمات الموساد ،وهذه طريقتهم في التخلص من

الأهداف التي تمثل خطورة على أمنهم، وبالبحث في ضحايا الحادث والمصابين كان من السهل الربط بين حادث فرنسا وحادث مصر، لأن الأستاذ أدهم هو الرابط الوحيد والقاسم المشترك بين الحادثين.

أدهم: أقسم بأن دم شقيقي وزوجتي وكل الضحايا لن يضيع هدرًا ولن أجعلهم يفلتون بهذا أبدا ومهما كان الثمن، وما يبحثون عنه أبعد عنهم من نجوم السماء.

الملازم أشرف: أنت إذًا تعلم عن أي شيء يبحثون وأين نجده؟

نظر أدهم بتحدي: نعم أعلم ماهو وأين أجده.

بهذه اللحظات رن الهاتف بحقيبة حلم والتي أخرجته قبل أن تقول: لا يظهر عندي أي رقم، فقط مكتوب رقم خاص.

الرائد أمجد: ردي فربما تكون إحدى أقاربك أو معارفك تطمئن عليكِ.

حلم وهي ترد: من معي؟ أتاها صوت أنثوي يقول من الطرف الآخر: رجاءً.. افتحي مكبر الصوت ليسمع الجميع.

حلم: هناك سيدة على الطرف الآخر تريدني أقوم بفتح مكبر الصوت، **أشار لها الرائد أمجد بالموافقة وعندما فتحت أتى الصوت من الطرف الأخر يقول:** أعلم أنكم جميعًا تسمعون كلامي، السيد أمجد والسيد أشرف والفنان أدهم، لا بأس.. سيكون اللعب على المكشوف، أنا كما تعلمون باتيا أوري والسيد أمجد يعلم من أكون فقد عملنا سابقًا من قبل.

الرائد أمجد: وماذا تريدين؟

باتيا: كلامي موجه للفنان العالمي.. الميكروفيلم أو فليبدأ من الآن التجهيز للوداع الأخير.

أدهم: ماذا تقصدين؟

باتيا: الميكروفيلم مقابل حلم.

بهذه اللحظة انقض الملازم أشرف على حلم وهو يدفعها بعيدًا، في نفس الوقت الذي انطلقت فيه رصاصة مرت بجوار رأسها لتصيب مزهرية ضخمة كانت خلفها وصوت ضحكات باتيا يأتي من خلال الهاتف الملقى على الأرض بعد سقوط حلم أرضًا.

للحظات ساد هرج ومرج وساد الظلام بالمكان وصوت الرائد أمجد يطمئن الجميع قائلًا: أنا من أطفأت الأضواء فلا داعي للقلق.

عم الصمت بالمكان لا يقطعه سوى أنفاس الحاضرين مع رغبتهم في الاطمئنان على حلم، **ومن خلال الهاتف الذي مازال ملقى على الأرض أتى صوت باتيا وهي تقول:** هذه الرصاصة فقط للتحذير، ولو كنت أريد موت حلم ما كنت لأخطئ هدفي وما كنت لأتصل.

الرائد أمجد: ماذا تريدين؟

باتيا: الميكروفيلم مقابل حلم.. سبق وأخبرت أدهم.

حلم: حياتي أقدمها طواعية وما قدره لي ربي سيكون، وربما أنتم لا تعلمون عني شيئا ولكني لست ممن يساومون على مبادئهم وأبدًا لم ولن أقدم أي تنازلات حتى وإن كان الثمن هو عمري.

أدهم وهو بالكاد يرى حلم وسط الظلام وهو يتتبع صوتها

موجهًا الكلام لباتيا: تذكري ولا تنسي أنكِ هنا بمصر، ومن هنا ستكون نهايتكم و نهاية أطماعكم.

باتيا: أخبر الملازم أشرف عندما يعود من موقع إطلاق النار أنني أبعد ما يكون عن أيديكم، وأن الكرة الآن بملعبكم، ولا تختبروا صبري كثيرًا فأنا لا أتميز بفضيلة الصبر.. قالت هذا وهي تضحك بسخرية وتغلق الهاتف.

وكما غاب الضوء فجأة فقد عاد فجأة لينير المكان بقوة.

الرائد أمجد: أغلقت الأضواء حتى لا نكون أهدافًا سهلة لهم.

رهف: ولكنها قالت أن تلك الرصاصة للتحذير والتهديد.

فرح: الحمد لله أن أحدًا لم يصب، هنا يدخل الملازم أشرف حاملًا

ورقة بين يديه كُتب فيها بالخط العريض «الميكروفيلم مقابل حياتكم وستكون البداية حلم «.

الملازم أشرف: حاولت اللحاق بها ولكن للأسف كانت قد غادرت الموقع، ويبدو أنهم على دراية كاملة بموقع الڤيلا، عندما ذهبت كانت قد غادرت للتو فقد رأيت بقايا سيجار ما زال مشتعلًا.

الرائد أمجد: لقد استعانت بتليسكوب وربما كلاشينكوف لتصل لهذا المدى.

الملازم أشرف: عندما رأيت تلك النقطة الحمراء على قلب حلم حاولت إبعادها عن مرمى الإصابة.

الرائد أمجد: لقد تجاوز الأمر كل الحدود ويجب أن نتحرك سريعًا.. فليس لدينا وقت.

فرح: ولكن كيف يعبثون هكذا بحرية في بلادنا؟ أليست هذه مسئولية الأمن والمخابرات؟ أليس هذا تقصير من جانبكم؟

رهف: حقًا.. لماذا لا تلقون عليهم القبض وينتهي الأمر؟

الملازم أشرف وهو ينظر إلى رهف: ليس الأمر بهذه السهولة التي تتخيلونها.

حلم: ولماذا؟ ألا نملك السيادة على أراضينا؟ ألا يكفيهم كل ما يفعلونه بأوروبا وأمريكا من اغتيالات لعلمائنا وكل من ينبغ بعلم من العلوم ليمنعونا من التقدم؟ أليس هم وراء اغتيال العالمة المصرية الدكتورة سميرة موسى عالمة الذرة النابغة والتي كانت أبحاثها كفيلة بأن تدخل مصر النادي النووي بتكلفة بسيطة ورخيصة؟ والتي اغتالوها بعد أن رفضت كل العروض للعمل معهم قائلة «**هناك وطن غالٍ ينتظرني يسمى مصر**» فاغتالوها بسيارة نقل على طريق كاليفورنيا لتقع سيارتها بوادٍ عميق ويقفز السائق ليختفي للأبد.

فرح: وهل ننسى العالم المصري السكندري دكتور يحيى المشد ذلك النابغة الذي كان يعمل بالمفاعلات النووية، وكان يحضر أبحاثه بالنرويج، وعندما طلبه الرئيس العراقي صدام حسين للعمل ببرنامج العراق النووي تم اغتياله في فرنسا بفندق

المريديان، ووُجدت جثته مهشمة الرأس، وكالعادة قُيدت الحادثة ضد مجهول.

فرح: في الكلية أعددت بحثًا عن الدكتور مصطفى مشرفة ذلك العالم المصري العبقري الذي تتلمذ على يد ألبرت أينشتاين، والذي أذهل العالم بعبقريته، وكالعادة اغتالوه بالسم عندما فشلوا في إقناعه بالعمل معهم حتى يحرموا مصر والعرب من علمه.

الرائد أمجد: وقد كان يسمع بفتور فهو على علم بكل ذلك القائمة طويلة ونحن نعلم أن أصابع الموساد تترك بصماتها على كل جريمة بحق علماؤنا.

الملازم أشرف: قد تمادوا حتى أنهم يغتالون كل من يشكك بمحرقة النازيين لهم ويتهمونه بمعاداة السامية، أليسوا هم من يسمون أنفسهم شعب الله المختار وما دونهم عبيدًا لا يستحقون الحياة؟ وما اغتيالهم للدكتور جمال حمدان أهم جغرافي مصري وعربي صاحب كتاب شخصية مصر إلا دليلًا على حقدهم وقذارة أعمالهم، فقد قتلوه لأنه كتب حقائق لا يحبون أن يقرأ عنها أحد أو يسلط أحد عليها الضوء، دبروا قتله ليمنعوه من إنهاء كتابه «اليهودية والصهيونية» وبعد موته اختفت مسودات الكتاب للأبد.

أدهم: كل هذا والعالم كما يبدو متواطئ معهم منذ وعد بلفور وحتى الآن، ونحن مازلنا لم نتعلم من دروس الماضي، فإلى متى؟ إلى متى؟

الرائد أمجد: الأمر ليس بتلك السهولة التي تتصورونها، بعالم المخابرات تتداخل الخيوط ببعضها البعض، وليس كل ما يبدو على الأرض يتم التعامل معه بعشوائية.

أدهم: ولماذا كل هذه التعقيدات؟

الملازم أشرف: سفارة كل دولة على أرض أي دولة هي أرض تابعة لدولة تلك السفارة، يُمنع أيًا كان اقتحامها مهما كانت الأسباب، مثلًا سفارة مصر بأمريكا هي أرض مصرية تحظي بكامل السيادة كما وأنها جزء من الأراضي المصرية كذلك، دخول عملاء الموساد أو عملاء أي مخابرات لا يكون بأسمائهم الحقيقية ولكن بأسماء حركية وجوازات سفر بغير هويتهم الحقيقية، وأيضا هم يجيدون التنكر، لذلك أي عميل له أكثر من جواز بأسماء وملامح مختلفة.

حلم: هل معنى ذلك أنهم سيفلتون من العقاب وستقيد تلك الحوادث كالعادة ضد مجهول؟

أدهم: مستحيل أن يفلتوا من العقاب، دم أخي ووالدة لين ليس رخيصًا، ولن يضيع هباءً، وإن كانت الأعراف الدبلوماسية تقف حائلًا بينكم وبينهم، فهي لن توقفني أبدًا ولن أنتظر حتى يأخذوا حلم من بين يدي، قال هذا وأنتبه أن الجميع قد توجهت أنظارهم إلى حلم التي احمرت وجنتيها من الخجل وهي تهمهم بعبارات غير مفهومة.

الرائد أمجد: ومن قال أنهم سيفلتون؟ نحن لن نألوا جهدًا في سبيل حماية الوطن، وكل نقطة دم هي دين برقبتنا حتى نثأر لها

من هؤلاء الخونة والمرتزقة، **واستطرد قائلًا:** لذلك لا يجب علينا أن نضيع مزيدًا من الوقت وعليكَ يا أستاذ أدهم أن توضح لي ذلك الغموض، وأريدك أن تخبرني عن ماذا يبحثون؟ وكيف نصل إليه قبلهم لنمنعهم من تحقيق مآربهم الخبيثة.

أدهم وقد عاد بذاكرته للوراء: في آخر زيارة لي بمصر أنا ورين ولين قضينا أسبوعًا بأسوان مع أخي أحمد، ومن هناك اشترى أخي أحمد دمية متوسطة الحجم على هيئة دُب أحبته لين كثيرًا، ولم يكن يفارقها أبدًا حتى أثناء النوم وأصبح كما تقول صديقها المقرب، وعندما غادرنا عائدين إلى فرنسا وبمطار القاهرة اختفى هذا الدب، بحثنا عنه في كل مكان بلا جدوى، ولم تكف لين عن البكاء والصراخ وقد حاولنا إلهاءها بأي شيء آخر أو بشراء دمية غيره، ولكن بلا فائدة.. وعندما فقدنا الأمل في إيجاده وقبل دخول بوابة الطائرة لحق بنا رجل أمن ليخبرنا أننا نسينا دميتنا وأن هناك سائح أجنبي قد وجدها وطلب إيصالها لنا، وقتها لم نعرِ الأمر أي اهتمام، وكان كل همنا أن تكف لين عن البكاء.. وهذا ما حدث.

أخذ نفسًا عميقًا وهو يستعيد بعض الأحداث من ثَم قال: عندما وصلنا إلى فرنسا وفي أول يوم لاحظت رين أن هناك اختلاف بسيط بالدمية، فلقد كانت تبدو جديدة.. بينما دمية لين كانت أقدم قليلًا من أثر اللعب بها، **تنفس وهو يتابع حديثه قائلًا:** بنفس المساء وعندما كانت تلهو لين بألعابها في غرفتها بفرنسا وعندما ذهبت للاطمئنان عليها وجدتها تعبث بالدمى

وتخرج الحشو منها والبطاريات وتعيد حشوها مرة أخرى وهكذا، فأعدتها إلى سريرها وقمت أنا بإعادة الحشو إلى الدمى وأعدتها الى خزانة الدمى ما عدا ذلك الدبدوب الذي أصرت على أن ينام بجانبها، كان الجميع يستمعون له بإنصات دون مقاطعة حتى أنفاسهم لم يكن يسمع لها صوتًا.

أدهم: صباح اليوم التالي وعندما ذهبت رين إلى فراش لين لتوقظها لم تكن الدمية إلى جانبها، وظل اختفاؤها يمثل لنا لغزًا كبيرًا لم ندرك سره وقتها، ومن بعدها بدأت المصائب تحل علينا بلا توقف.

رهف: مهلًا.. هناك شيء لم أفهمه أو يبدو أن هناك حلقة مفقودة أستاذ أدهم بحديثك.

الملازم أشرف: هل تسمح لي أستاذ أدهم بالإجابة على هذا السؤال؟

أومأ أدهم بإيماءة من رأسه أعقبها الملازم أشرف بقوله: آنسة رهف.. بمطار القاهرة وأثناء سفر أستاذ أدهم تم تبديل الدمى، فعندما اختفت دمية لين وعادت لم تعد نفس الدمية بل عادت دمية شبيهة لها، ولا أستبعد أن تكون من نفس المكان بأسوان، فيبدو أنهم كانوا يراقبون الأستاذ أدهم وكل تحركاته.

فرح: ولكن لماذا؟

هنا رد عليها الرائد أمجد قائلًا: ما بين تبديل الدمى كانت الدمية التي عادت إلى لين تحمل شيئًا هامًا يودون إخراجه من

مصر إلى فرنسا دون أن يشك بهم أحد، فربما كان من يحمل ذلك الشيء قد شعر أنه قد تم كشفه، وربما تكون هذه خطة بديلة في حال عدم نجاحه هو بالخروج بالميكروفيلم تكون هذه هي الخطة البديلة.

حلم: حسنًا وقد خرجت الدمية وبها الميكروفيلم وهم أخذوا الدمية كما يبدو من تسلسل الأحداث فماذا يريدون بعد ذلك؟

هنا التفت الجميع وتوجهت أعينهم إلى أدهم وهم يقولون: نعم ماذا يريدون؟

بثقة وبهدوء نظر أدهم إليهم وهو يقول: سأخبركم الآن ماذا يريدون وكيف وأين نجده؟

أدهم: كل الأشياء تكشفت لي فيما بعد، في وقتها لم أر أو أشك بأي شيء، كان الجميع يحبسون أنفاسهم وهم يراقبون شفتي أدهم وهي تتحرك وعيناه وما تحملانه من بريق يبدو واضحًا.

أدهم: عندما دخلت على لين لأضعها بالفراش لتنام، كانت كالعادة تمارس هوايتها المفضلة بإخراج أحشاء الدمى وإعادتها مرة أخرى، وكأنها تقوم بترتيب المكعبات، وقتها حملتها ووضعتها بالفراش وتمنيت لها نومًا هانئًا وأحلامًا سعيدة، وقمت بوضع الحشو داخل كل دمية، وكذلك إعادة البطاريات إلى أماكنها، كل هذا يبدو طبيعيًا للغاية ولا يثير أية شكوك، حتى اختفاء تلك الدمية التي أحضرناها من أسوان لم نتوقف أمامه طويلًا وظل لغزًا بلا تفسير.

رهف: ماذا تقصد بذلك؟ وإن كان كل شيءٍ طبيعيًا ولا يوجد ما يثير الشك والريبة فأين ما يبحثون عنه؟

حلم بثقة وهدوء: أظنني قد علمت ماذا يقصد أدهم، عفوًا.. قصدت الأستاذ أدهم

الرائد أمجد: نعم فعلى ما يبدو أن أدهم عندما قام بوضع الحشو استبدل الدمى ووضع ما يريدونه داخل الدمية الأخرى مع الحشو وهذا دون قصد منه.

الملازم أشرف: وعندما دخلوا إلى غرفة لين لاسترداد الدمية أخذوا دميتهم التي يعرفونها والتي وضعوا بداخلها الميكروفيلم.

فرح: السؤال الأهم الآن هو أين نجد تلك الدمية؟ وهل عادت مع لين من فرنسا أم مازالت هناك؟

حلم: رأيتها بالمرسم بتلك الزاوية حيث كانت تلهو بها لين بعد حصولها عليها،

لم يقطع حديثهم الهام سوى اتصال أتى على هاتف الرائد أمجد والذي بمجرد رؤية المتصل اعتدل ووقف وكأنه وجهًا لوجه، ظهرت علامات الاهتمام والجدية وهو يتحدث مع الطرف الآخر، **وبين الفينة والفينة يقول:** تمام يا أفندم.. نعم.. حسنًا.. هل تأكدتم من المصدر؟ إنها معلومات بغاية الأهمية والخطورة بنفس الوقت..

أنهى حديثه وهو يقول: ثق أننا لن نتوانى عن أداء واجبنا حتى وإن كلفنا أرواحنا سيادتك.

جلس بمكانه وهو يفكر مليًا وينظر لوجوه الحاضرين بصمت وقلق.

الملازم أشرف: هل هناك أخبار جديدة سيادتك؟

الرائد أمجد: كان الاتصال من العميل صفر، **بدا الاهتمام على الملازم أشرف وهو يقول:** من القيادة ذاتها؟

الرائد أمجد: لن أخفى عليكم فأنتم محل ثقة ويجب أن تعلموا كل شيء، فالوضع أصعب وأخطر وأسوء مما كنا نتصور، بل لن أبالغ إن قلت أن الوضع بالغ الخطورة والتعقيد في نفس الوقت، كان بكلامه هذا قد نجح في الاستحواذ على عقولهم قبل أعينهم.

أدهم: تحدث ولا تخشى شيئًا، نحن لا نقل عنكم وطنية أو انتماء وسنكون معكم جنبًا إلى جنب حتى آخر نقطة دماء بأجسادنا، أمنَ الجميع على كلام أدهم.

الرائد أمجد: أعترض الجهاز لدينا إشارة لاسلكية من جهاز إرسال على هيئة شفرة.

الملازم أشرف: وهل تم فك الشفرة سيادتك؟

الرائد أمجد: نعم وكانت الرسالة تقول أن هذا الميكروفيلم يجب الحصول عليه مهما كان الثمن ومهما كلف من أرواح.

حلم: هل هو هام لهذه الدرجة؟

الرائد أمجد: بالتعاون مع المخابرات الأردنية توصلنا إلى معلومات في غاية الأهمية والخطورة بنفس الوقت.

رهف: وما هي تلك المعلومات والتي يكون ثمنها أرواح الأبرياء؟

الرائد أمجد: يبدو أن خيوط هذه القضية متشابكة ببعضها البعض ولم نكن حتى هذه اللحظات نربط ما نقوم به بالتنسيق مع المخابرات الأردنية والسعودية والفلسطينية ولكن بربط الأحداث ببعضها البعض فما وصل لنا ووقع تحت أيدينا أن هناك منظمة إجرامية تسمى سكوربيون وتعني العقرب، قد استطاعت الحصول على ميكروفيلم يحتوي على عملاء الموساد داخل كل الدول العربية (مصر والعراق والأردن واليمن وليبيا والجزائر وتونس وموريتانيا والإمارات وكل دول الخليج العربي وفلسطين).

كان قوله هذا كفيلًا بأن تتوقف أنفاس الجميع وتنتفض أجسادهم قبل أن تقول رهف: لا يجب أن يعود لهم هذا الميكروفيلم.

الرائد أمجد: ليس هذا فحسب بل هناك ما هو أخطر من ذلك.

الملازم أشرف: وهل هناك ما هو أخطر من ذلك؟ **واستطرد قائلًا:** كشف هؤلاء العملاء والجواسيس سيكون ضربة قاصمة وقاضية للموساد وسيجعلنا نطهر بلادنا العربية من هؤلاء الخونة والمرتزقة.

الرائد أمجد: نعم هناك ما هو أهم من ذلك وأخطر.

الجميع بنفس الوقت: وما هو ذلك؟

الرائد أمجد: جميعكم تعرفون تلك التنظيمات الإرهابية والتى تضرب بلداننا العربية والتي يتخذها الغرب ذريعة للتدخل في شئوننا، ومن ثم يستبيحون سيادتنا على ترابنا بحجة مكافحة الإرهاب والقضاء عليه.

حلم: هم بالأساس من يصنعون الإرهاب ويغذونه وينفقون عليه بسخاء فهم من يصنعون بؤر الصراع بالشرق الأوسط والبلدان العربية.

فرح: يفعلون ذلك لبيع أسلحتهم وطائراتهم التي ينفقون عليها المليارات وإن لم يجدوا لها سوقًا رائجة ستصدأ بمخازنهم، لذلك هم يوقعون الخلافات ويثيرون القلاقل بين الدول العربية ببعضها البعض ليقوموا بتجربة أسلحتهم ومن ثم بيعها وقبض الثمن وتحقيق أرباح طائلة على حساب أرواح الملايين من أطفالنا ونساءنا وشهدائنا.

الرائد أمجد: وهذا ما أسمته مخابراتهم الفوضى الخلاقة أو ما يسمى بالشرق الأوسط الجديد.

أدهم: ولكنك لم تذكر لنا ما هو أهم من كشف عملائهم؟

الرائد أمجد: بهذا الميكروفيلم الأسماء الحركية لقيادات بداعش والتنظيمات الإرهابية من الصف الأول الذين تم تجنيدهم عن طريق المخابرات الصهيونية لإثارة الفتن والقلاقل بأوطاننا.

حلم: نعم يبدو هذا منطقيًا للغاية، فتلك التنظيمات تقتل وتفجر بكل مكان على أرض العرب، ولم توجه طلقة واحدة في

اتجاه الصهاينة، بل هم يثيرون الرعب والفزع لدينا لتنعم إسرائيل بالأمان.

فرح: ولكن كيف ولماذا ولصالح من تعمل تلك المنظمة؟

الملازم أشرف: في العادة تلك التنظيمات الإجرامية تعمل لصالح المنظمة وعندما تقع تحت أيديها مثل تلك المعلومات الخطيرة تبيعها لمن يدفع أكثر.

أدهم: بمعنى أصح هم مرتزقة وولاؤهم لمن يدفع الثمن.

الرائد أمجد: يبدو أنهم عندما علموا أن الموساد كشف تورطهم ويطارد الميكروفيلم، لم يكن أمامهم سوى إخراجه من مصر وإرساله إلى المنظمة بباريس عن طريق أحد غير مراقب.

رهف: ولكن كيف علم الموساد بوجود الميكروفيلم مع أدهم ومطاردته؟

الملازم أشرف: إما بالقبض على أحد أعضاء المنظمة أو بشراؤه من المنظمة.

فرح: وماذا ننتظر حتى الآن؟ علينا التوجه إلى المرسم والحصول على الدمية، لم تكد تنهى كلامها حتى تسرب إليهم دخان كثيف للغاية يأتي من الحديقة، تقدم الرائد أمجد الجميع وهو يحمل سلاحه مطالبًا الجميع باتخاذ الحيطة والحذر.

لحظات وكان الجميع بالحديقة وأمام أعينهم كان المرسم مشتعلًا وأصبح كتله من اللهب.

حاول أدهم الوصول للمرسم محاولًا اقتحامه لمحاولة إنقاذ الدمية، ولكن قام الجميع بمنعه لخطورة ذلك على حياتهن خاصة

وأنه وأمام أعينهم قد تحول المرسم إلى ركام، دقائق وكانت المطافئ قد حضرت وما لم تحرقه النار أتلفته المياه، وبدقائق معدودة أصبح المرسم وكأنه لم يكن، لحظات من الصمت والحزن والوجوم خيمت على الجميع، قبل أن يقطع ذلك الصمت الملازم أشرف قائلًا: ألا يبدو ذلك غريبًا يافندم؟ **وأتبع كلامه قائلًا:** هل كانوا يسمعوننا ونحن نتحدث بالداخل؟

الرائد أمجد: إستدعي خبراء التصنت لتطهير المكان، والآن علينا أن نرى كاميرات المراقبة لمداخل الڤيلا وأسوارها، تقدم أدهم الجميع وذهب باتجاه غرفة المكتب والتي بها شاشات المراقبة، فتح الشاشة وعاد بالوقت إلى نصف الساعة السابق، هنا لاحظ الجميع توقف سيارة فان سوداء ونزل منها رجلين وفتاة والتي رغم تنكرها البارع لم تكن سوى باتيا أورى، توجهوا إلى الناحية المخفية من السور وتسلق أحدهم وتسلل إلى المرسم وخرج بعد قليل يحمل الدمية والتي ألقاها إلى الفتاة وقام بسكب مادة حمراء بداخل عبوة بلاستيكية كبيرة، ومن ثم أشعل النار بالمرسم وغادر الجميع.

رأوا باتيا وهي تستدير للخلف وتنظر باتجاه الكاميرا وهي ترفع أصبعيها بعلامة النصر لتنطلق السيارة بسرعة الصاروخ مغادرة المكان.

رهف: الآن أصبح جليًا أنهم ليسوا فقط يراقبوننا وإنما أيضًا يتنصتون علينا، دقائق وتأتي فرقة الخبراء لتمسح الڤيلا وتقوم بنزع أجهزة التصنت من كل الغرف والتحف والمكاتب فكما

يبدو أنهم قاموا بزرعها بكل مكان ، دقائق وكان الفريق يعطي الإشارة بأن كل شيء على مايرام ،هنا طلب الرائد أمجد من الجميع الجلوس والهدوء.

رهف بحنق وغضب: كيف سمحتم لهم بذلك؟ بل كيف يتفوقون عليكم هنا بمصر وتحت أيديكم؟ هل هم بهذه البراعة أم أننا نحن لسنا بمثل كفاءتهم؟

الملازم أشرف وبنظرة حانية محاولًا امتصاص غضب رهف وضيقها: وهل هذا رأيك بنا؟

فرح: حقيقة حتى أنا مصدومة بما يحدث وأتساءل لماذا هم دومًا يسبقوننا بخطوة؟

لماذا نكون دومًا نحن رد فعل ولسنا نحن من ندير دفة الأمور؟

مع كل هذه الانتقادات الموجهة من رهف وفرح، إلا أن تلك الابتسامة التي تعلو وجه حلم كانت تتناقض تمامًا مع ذلك الجو المشحون بالغضب من جانب رهف وفرح من ناحية، وذلك الحزن البادي علي وجه أدهم بسبب احتراق تلك الصورة لحلم والتي رسمها على مدار سنوات بفرنسا.

هنا تحدث الرائد أمجد: الآن نستطيع التحدث بلا خوف وقلق ولكن أولًا أحب أن أوجه الشكر والتحية للآنسة حلم، **هنا توجهت كل الأنظار نحو حلم التي ابتسمت بخجل وهي تقول:** أنا لم أفعل شيئا.

الرائد أمجد: ما فعلتيه كان حاسمًا وهامًا للغاية، وسأجعلك أنتِ تتحدثين يا عميل حلم، قالها بابتسامة صافية دلالة على امتنانه ومزاحه لتشبيهها بأحد عملاء المخابرات.

رهف: يبدو أننا بحضرة رأفت الهجان ونحن لاندري.

حلم وهي تعود بذاكرتها للوراء (فلاش باك): تتذكرون جميعكم ذلك اليوم الذي تعرضت فيه الڤيلا للهجوم وتعرض أدهم لمحاولة القتل على أيدي هؤلاء المرتزقة؟

أومأ الجميع برأسهم إيجابًا وهم يقولون: نعم.. ولكن ماذا تقصدين؟ كان هذا سؤال رهف لحلم والتي قالت بنبرة هادئة: عندما كنت بنفس الغرفة مع أدهم وبوقت غيابه عن الوعي وعندما اشتدت حرارته كان يهذى أثناء ذلك **واستطردت قائلة:** بداية كان يردد بعض الأسماء، والده وشقيقه و لين، كل هذا بداية كان منطقيًا حتى أخذ يردد أثناء هذيانه ويقول « **الدمية، الحشو، لين، قتلة، المرسم**» وقتها ظننت أن الأمر لا يتعدى كونه يهذي، ولكن تكرر هذا وبنفس الوتيرة على مدار الساعة، مما جعل الفضول يتملكني فذهبت إلى المرسم، وكنت بالسابق قد رأيت الدمية هناك بأحد الزوايا، وعندما ذهبت إلى هناك وأمسكت بالدمية أخرجت البطاريات وكذلك الحشو والذي بدا أثناء إخراجه أن هناك جسم صلب صغير، قمت بإخفائه بيدي وأعدت الحشو والبطاريات مرة أخرى وعدت إلى الغرفة مرة أخرى وأنا أفكر فيما أصبح بين يدي.

فرح: وبعد؟ ماذا حدث؟ هل علمتي ما به؟

الرائد أمجد: هنا تجلت عقلية الآنسة حلم، فهي لم تتردد ولو لحظات في الاتصال بنا، وبمجرد حصولنا على الميكروفيلم بدأت خيوط اللعبة تتضح لنا .

حلم برقة وخجل وهي تنظر لأدهم الذي يرمقها بإعجاب

وحب: أنا لم أفعل شيئًا هذا واجبي.

رهف: ولماذا لم تقبضوا على هؤلاء المرتزقة وتحاكموهم؟

الرائد أمجد: لو فعلنا ذلك ما كنا لنصل لهم ولو علموا بأننا قد حصلنا على الميكروفيلم لأبلغوا عملائهم بمصر والدول العربية لمغادرة البلاد.

فرح: وماذا كانت خطتكم؟

الرائد أمجد: تم وضع خطة مكتملة الأركان وهي إيهامهم بأننا لا نعلم نواياهم ولا نعلم عن الميكروفيلم وتركناهم يزرعون أجهزة تصنتهم هنا، وكنا نتحدث فيما نريدهم أن يعلموه حتى نستدرجهم.

الملازم أشرف وهو ينظر لهم بزهو وبفخر: بعد اقتحامهم للمرسم وحصولهم على الدمية وإحراقه كان رجالنا يطوقون المكان من جميع المخارج والمداخل، بهذه الأثناء تلقى الرائد أمجد مكالمة هاتفية تهللت بعدها أساريره **وهو يقول:** أحسنتم لقد قمتم بعمل رائع، حسنًا.. سيكون وجودهم معنا ورقة ضغط كبيرة وورقة رابحة لنا.

الملازم أشرف: خيرًا سيادتك؟

الرائد أمجد: وقع الصيد بالفخ.

الملازم أشرف: هل سقطت باتيا بين أيدينا؟

الرائد أمجد بفخر وزهو: نعم.. نعم، هلل الجميع وبدت السعادة على وجوههم، إلا أن أدهم كان واجمًا ويبدو الحزن على محياه وهو ينظر لحلم ويبتسم ابتسامة باهتة.

الرائد أدهم وهو يطالع أدهم: ما بك يا بطل؟ لِمَ الحزن ونحن نحتفل بهذا الانتصار الساحق؟

أدهم: ما يحزنني أن هؤلاء السفلة قد أحرقوا المرسم وهم يغادرون.

رهف بحماس: يمكنك أن تعيد بناءه خلال أيام ونحن سنساعدك بذلك.

أدهم بحزن وأسى وهو يطالع حلم: ليس هذا ما يحزنني.. ولكن صورة حلم والتي ظللت أرسمها سنوات قد احترقت وكنت أود أن تظل شاهدة على كل ما مررت به، قال هذا وهو ينظر بأسف ناحية حلم والتي احمرت وجنتاها من الخجل **وهي تهمهم قائلة:** لم أكمل كلامي.. فلقد قمت بإخراج اللوحة من المرسم أثناء خروجي بالميكروفيلم، **وما أن أنهت جملتها حتى قفز أدهم من مكانه وهو يهلل كالأطفال:** أحقًا يا حلم؟ هل فعلت ذلك حقًا؟

حلم: نعم وهي بأمان ويمكنك استعادتها بأي وقت.

أدهم : هي لكِ.. وأنا كنت أود تقديمها لكِ.

رهف: يبدو أن العميل حلم لم تترك وراءها أية ثغرات، ابتسم الجميع مما زاد من ارتباك حلم وخجلها فأشاحت بنظرها بعيدًا إلى حيث الفراغ والمجهول.

فرح: ولكن كيف ستتعاملون مع الميكروفيلم الآن بعد أن أصبح بين أيديكم؟ هل سيفيدكم؟

الرائد أمجد: في هذه اللحظات والتي نتحدث بها.. هناك قائمة بأسماء كل العملاء والجواسيس بجميع البلاد العربية، وبالتنسيق مع أجهزة المخابرات يتم اعتقالهم وتطهير البلاد من شرورهم، كذلك يتم إعداد قائمة بأسماء قادة التنظيمات الإرهابية الممولون من الموساد لكشفهم أمام العالم، وذلك سيبرئ الإسلام وسيبرئنا كمسلمين مما يتهموننا به من تهم نحن والإسلام منها براء.

الملازم أشرف: بهذه المناسبة أنا أدعوكم على عشاء فاخر بأي موعد يناسبكم، على أن يكون قبل حصولي على إجازتي التي سأتقدم بها هذا الأسبوع.

الرائد أمجد: عن أي إجازة تتحدث يا حضرة الملازم؟

الملازم أشرف: هل سيادتك قد نسيت ما أخبرتك به بشأن توجه الأهل ليخطبوا لي من أريدها زوجة لي؟ قال هذا وهو ينظر إلى رهف والتي شعرت أن الأرض ستبتلعها من الخجل مما جعل الجميع يبتسمون بفرحة غامرة فهم يلاحظون منذ فترة أن الإعجاب والنظرات بين أشرف ورهف ستأخذهم إلى المأذون.

غادر الرائد أمجد الثيلا قائلًا للملازم أشرف: هل ستأتي معي أم تبدأ إجازتك من اليوم؟

ابتسم الملازم أشرف وهو يقول: كما ترى سيادتك.

الرائد أمجد: حسنًا.. ولكن لا تنساني بالدعوة وإلا فلن تكون هناك إجازة، قال هذا وهو يبتسم والجميع يبتسمون بسعادة غامرة، **دخلت لين وهي تلهو بدميتها فتوجهت لها فرح وهي تقول لها:** هيا نلعب سويا، بهذه الأثناء توجه أشرف نحو رهف على استحياء وهو يطلب منها التحدث إليها بالحديقة فنظرت نحو حلم التي أومأت لها علامة الموافقة فخرج الاثنان سويًا باتجاه الحديقة.

لم يبق سوى حلم وأدهم والذي نظر إليها قائلًا: كم أسعدني معرفة أنكِ نجحتِ في إنقاذ اللوحة.

حلم: هذه اللوحة مميزة للغاية، ولقد خطفتني منذ رأيتها ومن أول لحظة.

أدهم: أين هي الآن؟

حلم: لقد وضعتها بحجرة المكتب وهي بأمان .

أدهم: هل يمكننا رؤيتها والحديث سويًا على انفراد، فأنا أريدك في أمر هام للغاية.

حلم: حسنًا.. لامانع لدي.

توجه الاثنان لحجرة المكتب ووقف الاثنان أمام اللوحة.

أدهم: عندما نظرتِ للوحة هل لاحظتِ شيئًا قد لفت نظرك؟

حلم: اللوحة بكل ما فيها مميز وملفت، فهي في حد ذاتها مازالت تمثل لي لغزًا حتى الآن.

أدهم: غير ذلك ألم تلاحظي شيئًا؟

حلم بدهشة واستغراب: ماذا تقصد؟

أدهم وهو يشير إلى اللوحة حيث تبدو حلم على مقعدها بالحافلة ومن خلفها أدهم، عندما نظرت حلم إلى حيث يشير أدهم كادت تفقد الوعي من تلك المفاجأة، فكأنما هي تطالع اللوحة للمرة الأولى رغم أنها توقفت أمامها من قبل كثيرًا، فما كان أدهم يشير له بإصبعه ويظهر جليًا وبوضوح ليس إلا طفلة صغيرة، بالتدقيق في ملامحها وكأنها نفسها لين وليس هذا المفاجئ بالأمر، فما أشار له أدهم وجعل حلم تكاد تفقد وعيها.. هو ما تحمله لين بين يديها، فلم يكن سوي تلك الزجاجة التي ألقتها حلم في مياة البحر بعد أن وضعت بداخلها الورقة التي كتبها أدهم وتركها بالكتاب داخل الكوفي شوب، والتي حصلت عليها حلم من هناك مع تلك الورقة التي كتبتها بيدها، قبل أن تفيق حلم من تلك المفاجأة كان أدهم يردد تلك العبارة بهدوء «**نعم لقد أتيت وعلمت أنكَ موجود، وربما ليس مقدرًا لنا أن نلتقي هنا أحبك وكفى.. حلم عابر**»

نظرت حلم لأدهم كالمسحورة أو المغيبة وهي تتساءل بهمس: كيف؟ ومتى؟ وأين؟

أدهم: أخبرتكِ من قبل أنها ظلت دومًا صورة ناقصة وغير مكتملة حتى وقع ذلك الحادث أمام الكافي شوب، والذي تعرضتُ من خلاله لصدمة عصبية شديدة، مما جعل السيدة فريدة والمحامي يقرران سفري إلى فرنسا وعرضي على طبيبي الفرنسي الذي كان يشرف على علاجي عقب اغتيال رين، وهناك وفي رحلتي الأخيرة إلى فرنسا.. اكتملت الصورة.

أدهم وهو ينظر إلى حلم بحبٍ ورجاء: هل يمكننا أن نكمل حديثنا خارج القيلا؟

حلم: حتى أنا أشعر برغبة شديدة في تغيير، المكان وكم أتمنى لو أسير ولو قليلًا على البحر.

أدهم: ولو لم تمانعي يمكننا خلال ساعتين أن نذهب إلى البحر ونعود في نفس اليوم.

حلم: سأعرض هذا على رهف وفرح وإن وافقوا نذهب على أن نعود في نفس اليوم.

أدهم: لدينا هناك شاليه سيعجبهم كثيرًا، تحدثت حلم إليهم وعرضت عليهم قضاء باقي اليوم بالبحر، فرح لم تمانع **ونظرت رهف ناحية أشرف الذي سأل وهو يقول:** وهل تشملني هذه الدعوة؟

فأتاه الرد من خلفه عن طريق أدهم الذي قال: بالتأكيد يا سيادة الملازم، على الأقل سنضمن عدم حصولنا على مخالفات.

ابتسم الجميع لدعابته بينما خرج أدهم لتجهيز السيارة.

جلس أدهم خلف عجلة القيادة بجانبه أشرف بينما جلست حلم وفرح ورهف بالمقاعد الخلفية، كان أدهم يسير بسرعة قصوى وهو يطالع حلم بالمرآة الأمامية، وكان أشرف يختلس النظرات لرهف وتبادله هي تلك النظرات على استحياء بينما انهمكت فرح بقراءة كتاب تحمله معها.

كانت حلم تجلس بجوار النافذة كعادتها دومًا، وكانت عينيها تقعان على الطريق بينما عقلها وخيالها بمكان آخر، فما مر بها في

الفترة الأخيرة كان لا يصدق وأحداثه تجاوزت حد الخيال، ربما حتى الآن تشعر أنها مشوشة ولا تدري هل كل ما حدث قد حدث فعلًا؟ أم أنها ستصحو بعد لحظات لتجد ما مر بها لا يمت للواقع بصلة وأنه مجرد حلم عابر، نظرت إلى أدهم وأشرف ورفيقتيها لتنفض عن نفسها ذلك الهاجس، فها هم يشاركونها نفس السيارة في طريقهم إلى الإسكندرية، أغمضت عينيها لتمر أمامها حياتها كومضات من البرق؛ لتضيء وتترك أثرًا على بعض المواقف التي مرت عليها وظلت قابعة ولم ينجح حتى الزمن في محوها، كم تمنت لو اكتملت حياتها بوالديها فهي لم تزل تشتاق لحنو وحب الأم وأمان وعطف الأب، كم مرت عليها لحظات قاسية ودت لو تغيب فيها بأحضان والديها؛ لتترك العنان إلى دموعها.. تلك الدموع التي ظلت حبيسة مقلتيها حتى أصبحت عصية على الخروج فسالت على روحها وقلبها لتدميهما، حقًا هما لم يفارقاها يومًا.. وظلت ذكرياتها معهما لقاءات لم تنقطع.

«**أن الذكرى صورة من صور اللقاء**»[1]، ولكنه لقاء لا يروي عطش روحها أو يطفيء لهيب مشاعرها، تذكرت أمها بوجهها الباسم دومًا، تذكرت عندما كانت تدفن رأسها في حضنها حتى تنام، «**ليس فى العالم وسادة أنعم من حضن الأم**»[2]، الأم.. ومن غيرها يستطيع أن يحول الحزن إلى فرح واليأس إلى أمل

(١) أنيس منصور
(٢) شكسبير

والضعف إلى قوة؟ وهل يغني عنها أحد؟ أو يحل محلها أي شخص مهما بلغ حبه أو حنانه؟

«**لو كان العالم في كفة وأمي في كفة لاخترت أمي**»[١]، لاح لها وجه أبيها وكأنه يعاتبها قائلًا.. وأنا؟ أين أنا؟ أليس لي بقلبك نصيب؟ ابتسمت ابتسامة باهتة وهي مغمضة العينين لتخبره أنه كان الحب الأول في حياتها، وأنه فارس أحلامها، وأنها كانت دومًا امتدادًا له، وأنها لم تشعر يومًا بذلك الأمان الذي كانت تشعر به عندما تذهب لتنام بين يديه.

«**لا يغفو قلب الأب إلا بعد أن تغفو جميع القلوب**»[٢].. كم أفتقدك يا أبي فأنتَ كنتَ دومًا بالنسبة لي الحب الذي لا يخيب وما زال لكَ بالقلب حنين لا ينتهي ولن ينتهي، تنهدت تنهيدة عميقة تنم عن ذلك الحنين الذي يسكنها، كم تمنيتُ لو يسعدا بي وأسعد بهما، كم تمنيت لو أنال شرف برهما ورعايتهما بكبرهما، كم تمنيت أن أرى سعادتهما بي عندما ألتقي بمن يخفق له قلبي، نظرت إلى أدهم والذي كان ينظر إليها بود وحب وكأنه يشاركها نفس مشاعرها، «**يقولون أننا لا نعرف أهمية الملح إلا حينما يغيب، ولا نعرف قيمة الوالدين إلا حينما نفقدهما**»..[٣].

دعت لهما بالرحمة وأن يجمعها الله بهما في الجنة، عاودت النظر إلى أدهم وهي تتساءل هل حقًا تشعر بي؟ هل تعلم عن كم

---

(١) جان جاك روسو

(٢) ريشيلو

(٣) مثل هندي

الحيرة التي تعتريني؟ هل تسمع ذلك الضجيج الصادر من قلبي وعقلي؟ للحظات ظنت أن أدهم يردد اسمها بين شفتيه وهو يومئ برأسه إيجابًا، كان أدهم ينظر إلى الطريق أمامه بعينيه فقط بينما قلبه وعقله يأخذانه بعيدًا جدًا.. نعم أشعر بكِ وهل غبتِ عني يومًا؟ أولم أكن حاضرًا دومًا بأحلامك؟ ألم أشاركك كل آلامك؟ ألم تتلاقى أرواحنا وتنتصر على كل القوانين؟ ألم تتخطى حاجز المسافة والزمن؟ كم تساءلت دومًا كيف أنتِ هنا وهناك؟ بعيدة وقريبة؟ غائبة ولكنكِ حاضرة؟

«**الإنسان لا يشغل مكانين فى وقت واحد، ولكن قولي لي كيف أنكِ هناك وأنتِ هنا في قلبي في الوقت نفسه**»[1]، حتى ما تعانيه من الفقد أنا عشته فأنا مثلك فقدت والدي، حتي سندي وعضدي فقدته، نعم.. فقدت أخي وها هي تشاركني تلك المتاهة ابنة يتيمة قد حُرمت حنان الأم، حتى حياتي كلها ألم تكن عبارة عن رحلة بحث مستمرة عنكِ؟ ألم أختبر الموت أكثر من مرة؟ ألم أقاوم بالحياة على أمل اللقاء؟ ألم أقطع العالم ذهابًا وإيابًا بحثًا عنكِ لأنني آمنت بوجودك؟

«**الحب هو أن نحتاج إلى شخص واحد بهذه الدنيا**»[2].

وكأنه كان حوارًا بين عقليهما وقلبيهما، حلم تسأل وأدهم يجيب وهو يسأل وهي تجيب، ظل هذا السؤال قائمًا بينهما وكأن روحيهما تسبح بالفضاء اللامتناهي، **لم يقطع هذا السؤال سوى**

(١) أنيس منصور

(٢) أنيس منصور

صوت رهف وهي تقول متسائلة: لا أدري هل سيصدقني أحد إن استعنت بتلك الأحداث التي مرت علينا برسالة الماجستير أم لا؟ «**العقل الواعي هو القادر على احترام الفكرة حتى ولو لم يؤمن بها**»[1].

فرح: سأتحدث عن نفسي إن لم أر بأم عينيَ ما كنت صدقت، في النهاية تظل عقولنا أسيرة لما تراه أعيننا.

حلم: تظل الروح سر من أسرار الخالق يرسلها ويمسكها متى شاء ولا يعني أبدًا عدم رؤيتنا لشيء عدم وجوده.

أشرف يخبر الجميع بالسيارة أنهم قد وصلوا: وها نحن أخيرًا قد وصلنا فحمدًا لله على سلامتكم

نزل الجميع من السيارة، كان النهار قد انتصف وقرص الشمس يبدو مشرقًا وأشعته تلقي بحممها على ماء البحر وكأنها تخفف من حدتها، قام أدهم بفتح الشاليه لهم وهو يستأذنهم لإحضار بعض المشروبات، وهنا طلب منه أشرف الذهاب معه.

دلفت حلم وفرح ورهف إلى داخل الشاليه وجلسوا بالردهة قرب النافذة التي تطل على البحر مباشرةً.

رهف: تعلمون أن أشرف سيأتي مع أهله الإسبوع المقبل لمقابلة والدي والذي رحب به بعد أن أخبرته عنه.

فرح: يبدو أنه شاب محترم وراقي، وهو يحبك.. قد بدا ذلك في عينيه أتمنى لكِ السعادة.

---

(١) نجيب محفوظ

حلم وهي تبتسم: عليكِ أن تشكريني فأنا كنت سببًا قدره الله للقاءكما.

رهف: حسنًا سأشكرك فيما بعد، ولكن لي رجاء عندكما.

فرح: وما هو؟

رهف: أعتقد أن كلانا يعلم أن أدهم سيطلب الاقتران بحلم، وأنتِ يا فرح يمكنك إقناع عبد الله خطيبك أن يكون زفافنا بيوم واحد، بعد أن تقنع حلم أدهم بذلك.

حلم وهي تخفي رأسها بين يديها ودمعة نجحت في اختراق حدود عينيها وبصوت واهن لا يكاد يغادر شفتيها: لن أتزوج من أدهم، ما إن نطقت حلم بتلك العبارة وهي ترددها بخفوت وكأن شفتيها لا تستجيبان لها وهي تقول لن أتزوج من أدهم.. **حتى قفزت فرح من مكانها وهي تمسك حلم من كتفيها وتهزها وهي تقول:** ماذا تقولين حبيبتي؟ وهل سمعت أذناكِ ما تفوهت به شفتاكِ؟ هل حقا تعنين ما تقولين؟

حلم وهي تغالب دموعها وبحشرجة بصوتها: نعم أعي ما قلته تمامًا، أنا وأدهم لن يجمعنا مكان واحد حتى وإن أردنا ذلك، ربما ليس مقدرًا لنا أن نلتقي في هذه الحياة، ربما قدرنا أن يكون ما حدث ليس إلا حلم عابر مرعلى أرواحنا ولم يتوقف، أو ربما هو طيف راحل قد لمس قلوبنا لتومض معلنة أنها على قيد النبض والحياة.

رهف: ولكن كيف؟ ولماذا؟ أكاد أجن.. هل ما أسمعه فعلًا هو رغبتك يا حلم؟

من فضلك نريد أن نفهم فقط لماذا؟ لماذا؟

حلم: حسنًا.. سأخبركما حتى تزول دهشتكما وحتى لا أترككما بحيرتكما وتساؤلاتكما، عادت برأسها إلى الوراء وهي تستعيد رباطة جأشها وعينيها تراقبان السماء وقرص الشمس يتجه نحو المغيب، عندما كنت بغرفة أدهم وهو فاقد لوعيه كانت تأتي فريدة ونتجاذب أطراف الحديث، وبينما كانت تأخذنا الأحاديث إلى كل الاتجاهات تطرقت ذات يوم للحديث عن رغبة أدهم في تصفية كل أملاكه بمصر خاصة بعد وفاة شقيقه وأنه أصبح يشعر بالسوء مما حدث، لذلك فهو أوكل لمحامي الأسرة بيع الڤيلا والأرض وكل ما تملكه الأسرة هنا وتحويل المال إلى فرنسا، حيث ينوي أدهم الاستقرار هناك مدى الحياة وعدم العودة مرة أخرى.

فرح: يبدو هذا منطقيًا.. وماذا في ذلك حبيبتي؟ وهل يتعارض هذا مع ارتباطكما سويًا؟

رهف: يمكنكما السفر والعودة متى شئتما لقضاء العطل والإجازات بمصر.

حلم: ما علمته أن أدهم لا ينوي فقط المغادرة ولكنه ينوي الهجرة وعدم العودة مجددًا إلى هنا، وبالنسبة إلي فهذا بمثابة شهادة وفاة لي، تعلمون أنني لا طاقة لى على مغادرة مصر والإقامة بأي بلد مهما كان.. ومهما كان السبب،

أنا هنا أتنفس وأحيا على عبق الذكريات، هنا عالمي، هنا طفولتي وشبابي وحياتي، هنا رائحة أبي وأمي، بكل ركن من

المنزل لى ذكرى وموقف وحياة، كيف أترك كل هذا؟ نعم لا أقوى على ترك كل هذا خلف ظهري والسفر، حقا لا أستطيع.. لا أستطيع.

فرح: لا تنسي أن هذا حلمك وتلك أمنيتك، أليس هذا الحب هو ما كنتِ تنتظرينه وتحلمين به؟ هل ستتخلين عن هذا الحب ببساطة وتديرين له ظهرك؟

رهف: ومن قال أن هذا لا يمكن تغيره؟ يمكنكما التوصل إلى حل وسط بهذا الأمر، يمكنكما التفاهم.

حلم: لن أقف في طريق رغبته بشأن الهجرة، وهو عليه أن يختار بنفسه ودون أي ضغط مني.

حضر أدهم وأشرف من الخارج يحملان بعض الأكياس المحملة بالطعام والشراب، ومن ثم توجهوا إلى المطبخ لتجهيز الطعام وإعداد المائدة، طلبت حلم من الفتاتان أن يتوقفا عن الحديث وليقض الله أمرًا كان مفعولا.

توجهت رهف وفرح إلى المطبخ وهما يطلبان منهما الخروج وترك هذا الأمر لهما لحقت بهما حلم وهي شاردة، دقائق وكان الجميع يلتفون حول المائدة وهم يتناولون طعامهم، وما أن أنهى الجميع طعامهم حتى تناولوا القهوة التي أعدتها حلم للجميع، خرج الجميع إلى الشاطئ الممتد إلى مالا نهاية حيث الشمس كانت تتوجه إلى الغروب، والشفق الأحمر يكسو السماء ملقيًا بظلاله على صفحة الماء الأزرق الذي يتماوج برقة.

جلست رهف وفرح وأشرف على كراسيهم حول المائدة بالقرب من ماء البحر وهم يسبحون الخالق ويمجدونه على بديع صنعه وقدرته اللامتناهية وعظيم سلطانه، وكان ثلاثتهم يتحدثون عن الإعداد للخطبة بين أشرف ورهف ويتابعون أدهم و حلم وهما يسيران على شاطئ البحر.

أدهم: هل تصدقيني إذا أخبرتك أن تواجدنا الآن على شاطئ البحر ونحن معًا هو حلم من أحلامي عشته معكِ قبل أن يتحقق ولم أمل منه يوما؟

حلم: نعم سأصدقك لأنه ظل عالقًا بخيالي ولم يغادرني قط.

أدهم: تعلمين أنني قضيت عمري السابق أبحث عنكِ؟ كنتُ أعلم بوجودِك ولكن كيف ومتى اللقاء؟ فهذا ما كنت أجهله، كنت أبحث عنكِ لأنني كنت دومًا أردد بيني وبين نفسي أنه لا حياة لي بدونك، وأن حبي لكِ تجاوز الحب حتى أصبحت أتنفسك حبًا، ودومًا يأخذني حنيني إليكِ ويقودني خيالي إلى عالمِك الذي أنتمي له.

حلم: كل ما تقوله أشعر به وقد عايشته مشاعرًا وأحاسيس لم تغادرني يومًا واحدا.

أدهم: كنتُ دومًا أردد كل هذا ولم نلتقِ فماذا لو التقينا؟ ماذا لو التقت أعيننا وتوحدت قلوبنا وتلاقت أَرواحنا؟

حلم وكأنها تردد ما يقوله بلا وعي أو دون قصد: ماذا لو التقينا؟ ماذا لو التقينا؟

أدهم: وها نحن معًا وسويًا نتشارك الحلم وتحقيقه أصبح قاب قوسين أو أدنى، **استطرد يقول بحماس:** سأجعلك أسعد إنسانة في الوجود، لن أسمح للحظة ألم أن تمر على قلبك، لن أسمح لأي وجع أن يزور روحك، سنستمتع سويًا بكل لحظة بل سنجعل كل لحظة بيننا حياة.. أعدك بأن حياتنا في فرنسا ستكون أكثر من رائعة ومميزة، سنسكن بالريف الفرنسي.. وسنزور معالمها ونتجول بشوارعها وسنعيش كل لحظة، كان يتحدث بحماس وهو ينظر إلى حلم والتي كانت واجمة تنظر له بصمت وهي تسير بلا توقف وكأنها لا ترى أمامها.

أدهم: ما بكِ؟ هل قلت ما أحزنك؟ هل ضايقتك بشيء؟

حلم دون أن ترد على سؤاله: لم تخبرني عن الزجاجة وكيف وصلت إليك

أدهم وهو يستعيد ذلك الحدث والذي يبدو أنه يمثل له حدثًا مميزًا لا ينسى: خرجت ذات يوم بأوراقي وألواني إلى البحر لأرسم الشمس وقت الغروب.. كان تقريبًا يشبه هذا الغروب، توقفت على صخرة عالية قريبة من الشاطئ وقبل رحيلي لمحت تلك الزجاجة، وما لفت نظري أنها مغلقة وبداخلها أوراق وكأنها كانت تهمس لي، للحظات كدت أن أغادر دون أن ألقي لها بالًا، ولكن كان بداخلي فضول لأعرف ماذا تحمل بداخلها، كان عندي حدس غريب لا أجد له تفسيرًا، إنها ليست مجرد زجاجة عادية، حاولت كثيرًا جذبها نحوي وفي النهاية نجحت بذلك، وكم كانت دهشتي عندما فتحت الزجاجة وتناولت ما بداخلها..

فلم تكن سوى ورقتين إحداهما كتبتها أنا بخط يدي والأخرى كانت الخيط الذي أوصلني إليكِ.

أغمض أدهم عينيه وهو يردد إحداهما كانت لي وفيها «**أعلم أنكِ ستأتين إلى هنا وذات يوم سيقودك الحنين وأعلمي أننا وإن لم يكن مقدرًا لنا اللقاء هنا فسنلتقي هناك أحبك وكفى**» وعلى ظهر نفس الورقة وجدت تلك العبارة التي لم ولن يمحوها الزمن من ذاكرتي تلك العبارة التي أشعلت لي شمعة الألم وأنارت لي دربي ووضعت أقدامي على أول الطريق «**نعم لقد أتيت وعلِمْتُ أنكّ موجود وربما ليس مقدرًا لنا أن نلتقي هنا أحبك وكفى**».

حلم: هناك سؤال لم أجد له إجابة حتى الآن.

أدهم: وما هو؟

حلم: كانت العبارة على الورقة مذيلة باسم أحمد مجدي وليس اسمك أنت، فلماذا؟

أدهم: معكِ حق، وسأخبركِ بما غاب عنكِ.. فقد كان لأخي رحمه الله أجندة مهداة له من إحدى دور النشر، عبارة عن مذكرة صفحاتها بيضاء ومذيلة بأسفلها باسم أخي، وكان يستخدمها كمراسلات بينه وبين دور النشر ليعلموا أنها من طرفه، وعندما كتبت عبارتي لم تكن موجهه لأحد، بل حتى أنني كتبتها وتركتها مكانها ولا أدري كيف أو لماذا أو لمن كتبتها؟

أعقب كلماته بإخراج الزجاجة والورقة لتراها حلم وهي تومئ برأسها دلالة الاستيعاب.

أدهم وهو ينظر نحو حلم بحنو ورقة: لقد آن الآوان يا حلم لنكون سويًا وكفانا ما مضى من عمرنا ونحن برحلة البحث عن أرواحنا.

حلموهي تغالب دموعها: هل لاحظت شيئًا بتلك الورقة؟

أدهم: ماذا تقصدين؟

حلم: بعبارتينا هناك جملة تكررت منك ومني **واستطردت قائلة:** ربما لم يكن مقدرًا لنا اللقاء هنا.

أدهم: لا أفهم.. هل حقا تقصدين ما فهمته يا حلم؟ هل تريدين أن نفترق فعلًا؟

حلم: إذا غادرت ذكرياتي هنا سوف أترك روحي هنا، لن أكون نفس الفتاة أبدًا، ولن أكون حلم التي تمنيتها.

أدهم: ولكن كيف هذا؟ أويعقل حقًا ما أسمعه منكِ؟ هل وصلنا لنهاية الطريق؟ هل حانت لحظة الفراق عندما التقينا؟ «**هل يكون حقًا اللقاء ليس إلا بداية للفراق؟**»[١]

«**كنت أظن دومًا أن الموت ذاته يقف عاجزًا أمام الأمل في اللقاء، هل سيصبح فراقنا كما لقاؤنا قدر لا مفر منه ولا يمكن تغيره؟ قدر أراد لنا اللقاء ثم ينتهي ما بيننا وأبقي وحدي للشقاء**»[٢]

لماذا وهل هذا ما تريدينه حقًا يا حلم؟

حلم: لا.. ليس هذا ما أريده ولكنه القدر.

---

(١) مثل ياباني

(٢) فاروق جويدة

أدهم: عن أي قدرٍ تتحدثين؟ أعن القدر الذي جمع بين أرواحنا ونحن بطرفي العالم؟ أم عن القدر الذي جعلنا نقتسم نفس الحلم ونفس الخيال ونفس الهواجس؟ أم عن القدر الذي جعلنا نتغلب على كل الصعاب والعقبات وكل ما وضع بطريقنا من عراقيل؟ بالله أخبريني أي قدر يا حلم؟ أي قدر؟

حلم: ربما يجب علينا أن يعود كل منا إلى حياته وعالمه، وإن كان قدرنا أن نلتقي فسيتحقق القدر ونلتقي، ربما ما مر بنا يجعل أفكاري مشوشة، وربما أن قلوبنا وأرواحنا المرهقة تحتاج إلى بعض الهدوء.

أدهم وقد اغرورقت عيناه بالدموع وهو يشعر بالعجز: هل هذا قرارك النهائي حقًا؟

حلم: نعم.. يجب أن نعطي لأرواحنا وقلوبنا الفرصة لتقرير المصير ودون أية ضغوط، هذا من أجلنا يا أدهم.. أرجوك ساعدني بهذا.. أتوسل إليك.

أدهم وهو ينظر نظرته الأخيرة والتي تحمل رجاءه وتوسله وجينات عجزه: حسنًا يا حلم، سأبتعد.. ولكن اعلمي أن هذا بمثابة فراق الروح للجسد وغياب النبض عن القلب وفقدان العينين لنورهما، هذا ما سأعيشه بدونكِ.

حلم بدون أن تتحدث فقط كلمات أتت بعقلها ولم تغادر شفتيها قط: وكأنك تتحدث عني.. أرجوك رفقًا بي وبقلبي، رفقًا بروحي.. رفقًا يا أدهم، ليس هذا ما أريده حقًا ولكنه قدرنا.

أدهم: لماذا أنتِ صامتة؟ هل سيكون وداعنا هكذا بلا وداع؟

حلم تمد يدها نحو الزجاجة بهدوء تضع الورقة بداخلها وتغلقها جيدًا ومن ثم تضعها برفق في الماء الذي امتزج بدموعها المنهمرة بغزارة.

نظر أدهم إلى حلم وإلى الزجاجة وهي تتمايل مبتعدة وقرص الشمس يكاد يختفي ملقيًا بآخر شعاع نحو الماء، وأدهم مازال غير مصدق لما يحدث.

استدارت حلم عائدة إلى حيث رفيقتيها وهي تردد تلك العبارة التي قرأتها بوقت ما، وكأنها تصف حالها الآن «**غريبان نبحث عن زماننا وشاء اللقاء أن نفترق**» تنهدت تاركة أدهم يراقب ابتعاد الزجاجة، يبتعد معها حلمه وذكرياته وأمنياته، متمنيًا لو تتحقق المعجزة وتعود له لتخبره أنها لن تتركه، تمنى لو أنها حتى تلقي بنظرة أخيرة عليه علها تكون لحظة التقاء بين أعينهم.

حلم كذلك لم تتوقف دموعها ولم تستجيب لنداءات رهف وفرح اللتين حاولتا اللحاق بها، وكيف تستجيب لهما وهي لم تستجيب لصرخات روحها ونحيب قلبها الذي يعاتبها بعنف؟ **حاولت أن تكفكف دموعها وهي تردد:** وما بين قدر وقدر نرجو من الله قدر.

♡♡♡

عادت حلم برأسها إلى الوراء وهي تحتسي قهوتها وعبق رائحتها يخترق الأنوف مع تصاعد أبخرتها بعبق الهيل.

تيم موجهًا حديثه إلى حلم: ما هذا؟ وكيف يعقل؟

حلم: ماذا تقصد أيها الفتى المشاغب؟

تيم: هل افترقتما حقًا؟ ولم تلتقيا مرة أخرى؟

رحمة وهي تعقب على قول تيم: وكيف هذا أيتها النابغة؟ وهل يعقل أن يفترقا ونحن نرى صورهما سويًا؟

عبد الرحمن: نعم يا جدتي، أنتِ لا تفعلين شيئًا كل يوم وطوال اليوم سوى التقليب في ألبوم الصور ورواية الحكايات لنا عن جدي أدهم ورحلاتكما إلى فرنسا وتركيا والأقصر وأسوان، **نظرت حلم إلى تلك الصور التي تجمعها بأدهم وهي تقول:** حسنًا أيها الأطفال الأذكياء، ما هو وجه اعتراضكم بالضبط؟

حذيفة: أخبرينا هل تزوجتما أم افترقتما؟ هيا احكي لنا.

حلم وهي تضحك حتى بدت أسنانها من خلف شفتيها وهي تعيد خصلة الشعر البيضاء خلف أذنها ملوحة له بيدها، أيها الذكي لو افترقنا ما كان أباؤكم ولا كنتم.

هلل الأطفال بفرح ومرح: وكيف حدث هذا؟ احكي لنا يا جدتي.

حلم: هل سمعتم يومًا عن جسد بلا روح؟

هل سمعتم عن قلب بلا نبض؟

هل سمعتم عن ليل لا يتبعه فجر؟

وهكذا ما كان لي ولا لأدهم أن نحيا مفترقين أبدًا..

قالت هذا وهي تطلب منهم الذهاب لتناول الطعام على وعد بأن تروي لهم كيف عادت الروح إلى الجسد والنبض إلى قلوبهما.

ألقت نظرتها الأخيرة على ألبوم الصور وهي تطبع قبلة حانية على جبين أدهم، **وهي تنظر إلى عينيه مباشرة وتقول:** تحقق نصف الحلم باللقاء هنا، ومازالت دعوتي لله بأن يتحقق بقية الحلم بأن يجمعنا الله هناك، للحظات خيل إليها أن أدهم يبتسم لها بحب ابتسامته المعتادة والتي لم تفارقها يومًا.

أغمضت عينيها لتشعر بيديه تلمس جبينها وصوته يحتضن قلبها وروحها قبل أن تصل إلى أذنيها كلماته الحانية «**كنتِ دومًا دعوتي لله وأمنيتي، دعوته أن تكوني زوجتي في الدنيا وحوريتي في الجنة**».

بلا وعي منها رددت كلماتها.. وكم اشتقت إلى اللقاء، اشتقتُ وكفى.

أتاها صوته عبر روحها المطمئنة «**حتمًا سنلتقي.. حتمًا سنلتقي**».

تمت

كاريزما
للنشر والتوزيع